الجمهورية الجزائرية الد يمقراطية الشعبية
وزارة التعليـم العالـــي والبحـــث العلمـــي
جامعـــة ابـن خلـــدون – تيـــارت
كليـــة العلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة

قسم العلوم الإنسانية تخصص فلسفة العلوم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

موسومـــــة بـ:

الأبعاد الأيديولوجية في الأنساق المعرفية المعاصرة

كارل مانهايم أنموذجا

إعـــداد الطالبـــة
بعيطيش مريـــــــم

إشـراف الأستاذ
حفصـــة طاهـــــر

لجنـــة المناقشـــة	
أ. سباعي لخضر	رئيسًـــــــا
أ. حفصة طاهر	مشـــــــرفا
أ. راتية الحاج	مناقشًـــــــا

السنـة الجامعيـة

2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا الى انجاز هذا العمل.

يطيب لي ان اتوجه في مقامي هذا بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والعرفان الى استاذي الفاضل

"حفصة الطاهر"الذي اخصه بكل صنوف التقدير والاحترام،فقد كان لي خير مرشد وموجه في انجازي

لهذا البحث،ولم يبخل علي بنصائحه السديدة وتشجيعاته المعنوية، فجزاه الله عني كل خير كما أقف تقديرا .

للأستاذ:"موهوب"معترفة له بالجميل والصنيع الذي اسداهلي.فأقول له وفقك الله استاذي في كل ما تسعى اليه.

-ومن باب الاعتراف بالجميل ايضا،اتوجه بخالص الشكر والعرفان الى الاستاذ الفاضل: "راتيا الحاج" الذي يعود له الفضل في اقتراح موضوع هذا البحث،فوفقك الله استاذي لما فيه الخير وسدد خطاك.

كما اتوجه بالشكر الىكلالعاملين بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بها،وعلى رأسهم عميد الكلية .

الى أساتذة الفلسفة جميعااتقدم بالشكر والامتنان وجميل العرفان .

ثم لا ننسى كل من ساعدنا من قريب او من بعيد ولو بكلمة طيبة .

الى هؤلاء جميعا اقول:شكراألف شكر ...وجزاكم الله عني كل خير،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

إهداء

قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
صدق الله العظيم
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونورالعالمين
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلىمن أحمل أسمه بكل افتخار
والدي العزيز
إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني، إلىبسمة الحياة وسر الوجود
إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي.
إلى من بها أكبر وعليها أعتمد، إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي
إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لهاإلى من عرفت معها معنى الحياة
أمي الحبيبة
إلى توأم روحي ورفيقة دربي.. إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة
إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعها سرت الدرب خطوة بخطوة "أختي ايمان"
إلى من أرى التفاؤل بأعينهم.. والسعادة في ضحكتهم
إلى أخويا"محمد وجلول"
إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي .. إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء
والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب
الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح
الى كل صديقاتي
والى أساتذتي واستاذاتي وكل من أشرف على تعليمي منذ الصغر الى الآن وبخاصة استاذي
المشرف "حفصة طاهر" أرجو من المولى عز وجل أن يجمعني واياهم في جنانه الواسعة
الى من سقط قلمي سهوا عنهم أهدي هذا العمل

مقدمة

مقدمة

كرم الله سبحانه وتعالى الانسان وميزه عن سائر الكائنات بالعقل، فمنذ أن وعى الإنسان وجد نفسه يفكر، غير أن تفكيره هذا كان وليدا للحاجة البيولوجية، لكن وبعد مر الزمن شهد هذا التفكير تطورا أو بالأحرى انتقالا من التفكير البدائي إلى التفكير المتطور والذي فرضته الثورة في مجال الصناعة التي تعد العلامة البارزة لتطور الفكر، فاحتاج الإنسان إلى تنوع في أفكاره على قدر تنوع المجالات التي صادفها، ما زاد فيه حماسا إلى الإبداع الفكري، وبالتالي تعددت مظاهر الفكر بتعدد الأفكار والآراء والنظريات الفلسفية والسياسية والتي تعد بمثابة المرآة التي تعكس الظروف والأوضاع الاجتماعية والفكرية والفلسفية للمجتمع والأفراد، ومن ثم فهي نتاج التفاعل بين المفكر ومجتمعه من ناحية، وبين المفكر والإطار الفلسفي الذي ينتمي إليه من ناحية أخرى، وعليه فقد نتج عن هذا التعدد صراعات في الأفكار مما استدعى إلى إيجاد علم خاص بها يدرس مقاصدها ومعانيها، وأطلق على هذا العلم اسم " الإيديولوجيا "، ومن هنا أصبحت الإيديولوجيا تعبر عن الأوضاع الاجتماعية لكل فترة، وتراوحت معانيها بين السلب والإيجاب، ولهذا تعددت حدودها وتعريفاتها بتعدد مظاهرها وتشابك علاقاتها وتجلياتها مع كثير من الظواهر الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والفلسفية والمعرفية.

ولم تكن الإيديولوجيا حديثة ولا من مستجدات العصر إنما يوغل بها التاريخ إلى اليونان كقواعد سلوكية، وكذلك عند المسلمين حيث ربطها البعض بالعقيدة، ثم ظهورها كمصطلح حديثا في فرنسا وبعدها تناولتها الدراسات المعاصرة عند المفكرين الغرب، حيث نالت الإيديولوجيا حظا وافرا من الدراسة والتحليل لدى الغرب، وأضحت الشغل الشاغل في فكرهم وعلى رأسهم نجد " كارل ماركس"و"لويس ألتو سير" وغيرهم، وبذلك اتسع مفهوم "الإيديولوجيا" وتشعب وأصبح عنصرا هاما في الدراسات المعاصرة، حيث اعتمد عليه علماء الاجتماع في دراستهم لسوسيولوجية المعرفة، ويعد " كارل مانهايم" من بين "علماء الاجتماع الألمان" الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة، ومن هنا أبيناالا أن يكون عنوان مذكرتنا موسما " بالأبعاد الإيديولوجية في الأنساق المعرفية المعاصرة "، وإخترنامانهايم كنموذج لهذه الدراسة وعلى غرار هذا تبادر في أذهاننا اشكال حول هذه الضاهرة وهو

كالتالي:اذا كانت الايديولوجيا تمتاز بالاضلال والتزييف والخداع،فاين تكمن الحقيقة بالنسبة لماهايم؟ واشكالنا هذا اندرجت تحته مجموعة من التساؤلات وهي كالاتي:

ما لمقصود بالإيديولوجيا؟ماهي الميزات والوظائف التي تمتاز بها؟ وما هو المعنى الذي أضفاه ماهايم على هذا المفهوم؟ وما علاقته بنظريته في المعرفة؟ أو بالأحرى ما علاقة الإيديولوجيا بسوسيولوجيا المعرفة بالنسبة لماهايم؟ وأين تكمن الحقيقة بالنسبة لكارل ماهايم؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم موضوع بحثنا إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

فصل تمهيدي والذي تضمن الأصول الأولى للإيديولوجيا حيث تطرقنا فيه إلى الفترة اليونانية والتي كانت الإيديولوجيا فيها كقواعد سلوكية في حياتهم كما تطرقنا إلى الحضارة الإسلامية أين ارتبطت الإيديولوجيا بمفهوم العقيدة لكن ليس كمرادف لها، وتناولنا أيضا الإيديولوجيا والطابع الذي تتسم به في عصر الأنوار والذي أطلق عليه "عصر الإيديولوجيات" لقوة تدفق الأفكار ثم تناولنا "الإيديولوجيا كمصطلح"والتي اقترنت"بديستوس دي تراسي" الذي اخترع لها هذه التسمية، وبعدها تناولناها أبعد من أن تكون كمصطلح أين عبر عنها على أنها " كيانا فكريا يعبر عن الروح" والذي ظهر مع "هيجل" الذي كانت لفلسفته التأثير البالغ على من تلوه خاصة "ماركس وإنجلز"، كما تناولنا أيضا الإيديولوجيا لدى عناصر غير ماركسية من أمثال [لينين، جورج لوكاتش وأنطونيو غرامشي] وكيف حاولوا إبعاد الإيديولوجيا من المفهوم السلبي، وتطرقنا كذلك إلى التطور الأهم الذي حدث لهذا المفهوم والذي كان مع" كارل ماهايم" وأخيرا المحاولات التي ظهرت في السنوات القليلة الماضية في تحليل الإيديولوجيا.

أما الفصل الثاني فقد تضمن ماهية الإيديولوجيا، والتي تناولنا فيها التعريفات المتعددة للإيديولوجيا ثم السمات والخصائص التي امتازت بها الإيديولوجيا وبعدها تناولنا الوظائف التي تقوم بها الإيديولوجيا في المجتمع.

وتضمن الفصل الثالث نظرية المعرفة لماهايم وتأسيسه لعلم اجتماع المعرفة ونظرية النسبية في المعرفة.

أما الفصل الرابع والأخير والذي يعد المحور الرئيسي للدراسة فتناولنا فيه المنظور المنهايمي للإيديولوجيا من خلال تطرقنا إلى مفهوم الإيديولوجيا، ومفهوم اليوتوبيا وعلاقتهما معا ثم تناولنا فيه مبحثا مخصصا للدراسة الإستمولوجية حول النظرية التي قدمها مانهايم.

أما الخاتمة فقد رصدنا فيها أهم النقاط التي انتهينا إليها من تحليلنا لمضمون "الأبعاد الإيديولوجية في الأنساق المعرفية المعاصرة" "لكارل مانهايم"، ولقد أثرنا الاستعانة بالمنهج "التحليلي التاريخي النقدي" كأداة نستطيع من خلالها بيان الدور الذي لعبته الإيديولوجيا في كل حقبة زمنية معينة، فإستعنا بالتاريخي لرصد اصول الإيديولوجيا عبر التاريخ، والتحليلي لتحليل الأفكار التي قدمها المفكرين حول هذا الموضوع خاصة " كارل مانهايم" الذي تطلب منا كثيرا تحليل أفكاره وبيانها بالتفصيل حتى يسهل فهم المقصد من البحث، ثم إستعنا بالنقد من خلال تطرقنا لبعض المواقف المانهايمية التي قوبلت بالنقد من قبل بعض المفكرين والعلماء خاصة في ما تعلق بنزعته التاريخانية.

ولقد اخترنا موضوع بحثنا هذا لعدة اعتبارات نذكر منها :

الرغبة والميل لمعرفة المضمون الحقيقي الذي تخفيه ورائها الايديولوجيا ،وما زاد حرصنا على اختيار هذا الموضوع هو اغفال الدراسة من قبل الطلبة لهذا الموضوع بالتالي أردنا الخوض فيه حتى يكون لدينا هذا النموذج الجديد في جامعتنا للاستفادة منه في البحوث القادمة .

و حضي موضوع بحثنا هذا بالعديد من الدراسات فقد تناوله "بول ريكور في محاضراته التي قدمها عن الإيديولوجيا واليوتوبيا، كما تناوله أيضا "عبد الله العروي" في كتابه "مفهوم الإيديولوجيا"وقد تناوله أيضا طالب بجامعة قسنطينة وكان موضوعا لمذكرته "الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة" وغيرها من الدراسات الأخرى التي حضي بها موضوع بحثنا هذا.

ولقد اعترض طريقنا في إنجازنا لهذا العمل عدة صعوبات من بينها نذكر ما يلي:

قلة المادة العلمية بمكتبات الولاية، مما استدعى منا التنقل إلى مكتبات خارج الولاية والذي صعب علينا مهمة البحث إضافة إلى صعوبة وجود المراجع التي تناولت الموضوع باللغة العربية، أيضا اللغة الصعبة التي تميز بها الأسلوب المانهايمي حتى وإن كانت مترجمة إلى العربية، بالإضافة إلى صعوبة الموضوع في حد ذاته باعتبار أن مفهوم "الإيديوجيا" مفهوما معقدا ومتشابكا ولديه معان مختلفة.

وبعد نحمد الله كثيرا كما يحب ربنا ويرضى، ونشكره على ما أجاد وأعطى، ثم نشكر كل من لم يبخل علينا ومد لنا يد العون، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل " حفصة الطاهر " الذي كان لنا المرشد والموجه في كل خطوة خطيناها في هذا البحث.

وأتمنى في الأخير من المولى عز وجل أن يجد القارئ في هذا البحث ما يستأهل الجهد الذي بذله في قراءته، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفصل التمهيدي_

البدايات الاولى للايديولوجيا

_الفلسفة اليونانية

_الحضارة الاسلامية

_الايديولوجيا في فلسفة الانوار

_ظهور الايديولوجيا كمصطلح

-تطور مفهوم الايديولوجيا

يعتبر مصطلح الأيديولوجياحديثا نسبيا، إذ لا يتجاوز في نشأته واستخدامه المائتي عام ولا تعني حداثة اللفظ أن الناس لم يكونوا من قبل ينظمون حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفقا لفكر محدد،[1] فالحديث عن مفهوم الأيدولوجيا كمصطلح، كما هو كائن حاليا يعود إلى القرن الثامن عشر، بيد أن الحديث عن الأيديولوجيات كظاهرة وقواعد سلوكية هو حديث قديم قدم الجماعات البشرية ذاتها، ومن ثم يمكن أن نجد له أصولا في تاريخ الفكر السياسي اليونانيوالإسلامي.

وعلى وجه العموم فان تاريخ مصطلح الأيدولوجيا تاريخ مضطرب، إذ ظل منذ ولادته محط صراع ابستيمولوجي وأيديولوجي حول دلالته ومدى مشروعيته ومن هنا تعددت التعريفات والتصنيفات، لذلك كان لا بد من الرجوع إلى تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، والذي يضمن مزيدا من التحديد والاقتراب من هذا المفهوم وبيان وتوضيح أصوله ثم نشأته وتطوره عبر العصور.[2]

ولهذا ارتأينا أن نتناول في هذا الصدد الأصول الأولى للأيدولوجيا وعليه فإذا قلنا بان الأيدولوجيا هي بناء فكري، أو نسق من الأفكار يسود مجتمعا من المجتمعات، أو هي ذلك الجزء من الفلسفة الذي يبحث في أصل وطبيعة الآراء والمعتقدات أو انه التعبير العقلي الذي يعكس النظام الاجتماعي[3] كان لابد علينا التطرق إلى الأنساق الفكرية القديمة والتي كانت الأيدولوجيا فيها كقواعد سلوكية في حياتهم.

1-الفلسفة اليونانية:

تعتبر الفلسفة اليونانية علامة بارزة من علامات الفكر الإنساني، فهي تمثل فترة خصوبة الأفكار وحيوية الجدال والمناقشات التي دارت بين الفلاسفة على اختلاف نزعاتهم، حيث اصطرعت المذاهب الفلسفية، يحاول كل منها أن يثبت جدارته الأبستمولوجياخلال منطق محكم يدل على هذه

[1]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايدولوجيا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تحت إشراف الأستاذ الدكتور:عراس محمد، جامعة قسنطينة 2001، ص16.

[2]- محمد الانصاري الايديولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير تحت إشراف الأستاذ عبد المعطي محمد جامعة الإسكندرية 2000 ص23.

[3]- احمد رشوان، الايدولوجيا والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث للنشر، أبو الخير للطباعة والتجليد، الإسكندرية، 2008 ص17.

العقلية التي أنتجت أخصب الأفكار. والفترة السقراطية تشكل محورا مهما لدراسة حقبة هامة من حقب الفلسفة اليونانية، حيث نازل سقراط خصومة الذين عرفوا بفريق أو طائفة السفسطائية التي شكلت توجها معرفيا داخل المجتمع اليوناني[1] فشعار سقراط (496-399 ق.م)"اعرف نفسك كانسان واتبع الإله" تعبر عن صراع في أخلاقيات الإغريق بين الحكمة والاعتدال من جانب والمعرفة والمنهجية من جانب آخر، ثم أصبحت تعني عند سقراط، أن الإنسان هو الذي ينبغي أن يكون موضوع الدرس والتأمل، وأن يكون محور الفكر.[2]

وكان سقراط يشير في حواره مع المتحاورين إلى انه يولد الأفكار من العقول الحوامل للحقيقية، باحثا من خلال ذلك عن العلم او الحكمة لدى الشعراء والخطباء والسياسيين وأصحاب الحرف، أما عن أفلاطون (427-347ق.م) فقد قرر بان الأفكار نهائية وكونية، ولا يقصد أفلاطون بالأيدولوجيا تلك الخواطر العقلية التي تترجمها الكلمات، ولكنه قصد جوهر الأشياء التي يتكون منها الكون والمثل العليا التي تقاس بها ويستطيع العقل وحده ان يحكم عليها بأنها مطابقة أو غير مطابقة لهذه النماذج الكونية الأولى وذكر أفلاطون بان العالم المادي الذي يعيش فيه لا يستحق الاهتمام لأنه أشباح فانية وإنما الذي يستحق الاهتمام هو عالم القيم الروحية والمثل العليا لأنها حقائق خالدة.[3]

ولقد أجمل عبد الله العروي في كتابه "مفهوم الايديولوجيا" الكلام عن الفلسفة اليونانية والتي أطلق عليها تسمية "عهد ما قبل الأيديولوجيا" حينما قال بان الفلسفة اليونانية تنطلق من وحدة الكون، فتعتبر العالم الإنساني صورة مصغرة للعالم العلوي والمنطق البشري انعكاسا لمنطق الكون .فلا ترى فرقا بين قواعد الأخلاق وطرائق المنطق وقوانين الكون،[4] والواقع حسب الفلسفة اليونانية السقراطية ثابت قار، والحقيقة واحدة، والكون المتجانس دائم، والإنسان قسم من الكون المتجانس، وجدانه مرآة تعكس مباشرة ذلك التجانس الذي هو عنوان الكمال والجمال، وفي إطار هذه المسلمات، إذ قال الإنسان أو فكر أو فعل شيئا غير مطابق لقانون الواقع الحق:فإما أن وجدانه لا

[1]- محمد الانصاري الايديولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ص23-24.
[2]- أحمد رشوان، الايدولوجيا والمجتمع، ص17-182.
[3]- المرجع نفسه، ص18.
[4]- عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجيا، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الخامسة 1993 ص19.

يعكس الواقع الحق وذلك بسبب عطب في الحواس أو خلل في العقل، وإما أن قوة خارجية قاهرة تتعمد تغليطه.[1]

ولهذا نقول بأن الناس قبل عهد الأيديولوجية كانوا يهتمون بمطابقة أو مناقضة الذات للموضوع والذي يظهر في صورة الصواب والخطاء من جهة وصورة الصحة والمرض من جهة ثانية، وبالتالي فان فكر كهذا لا يحتاج إلى مفهوم الايديولوجيا، وبالتالي فالمفهوم لم ينشأ في ظل الفكر المذكور في الماضي ولا يمكن أن يتواجد معه في الحاضر.[2]

2-الحضارة الاسلامية

أما مفهوم الأيديولوجية في الحضارة الإسلامية فنجده يقترب من مفهوم العقيدة، ولكنه ليس مرادفا له على الإطلاق، فالعقيدة لغة هي[3] الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد وتطلق في الدين على ما يؤمن به الإنسان ويعتقده كوجود الله، وبعثه الرسل، والعقاب والثواب وغيرها[4] أما الأيديولوجية وفق استخدامها الأصلي هي "علم الأفكار"[5] أو هي "ذلك العلم الذي يدرس ما هو متعلق بالفكر" بمعنى ان الأيدولوجيا تحتوي كل ما يتعلق بالأفكار سواء أكانت سياسية، اقتصادية او حتى اجتماعية.[6]

وهكذا يتضح من تعريفنا لكل من العقيدةوالأيدولوجيا أن بينهما علاقة في بعض الأمور وانفصال في بعضها الآخر، فالأيدولوجيا تعني تصورا ما للأشياء والأفكار، وقد يكون هذا التصور نتيجة لعقيدة معينة، دينية أو سياسية أو اقتصادية، ولكنه قد لا يكون نتيجة لتلك العقيدة أيضا، ومثال ذلك أن تصورات الإنسان، وهي الثمرة الطبيعية لأيديولوجيته، قد تكون على عكس ما يعتقد، فغالبية المدخنين يؤمنون بأضرار التدخين وأخطاره،[7] وكثير من العلماء يحملون تمائم، أو

[1]- المرجع نفسه، ص18.
[2]- المرجع نفسه، ص19.
[3]- محمد الانصاري، الايديولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ص 25.
[4]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج2، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان 1982 ص92.
[5]- تدهوندرتش، دليل اكسفورد، ج1، ترجمة نجيب الحصادي، ص128.
[6]- محمد الانصاري، مرجع سبق ذكره، ص18.
[7]- المرجع نفسه ص 26.

يؤمنون بما يعتقدون انه خرافات، وكثير من دعاة الفضيلة غارقون إلى الأذقان في الرذيلة، فبين الأيدولوجيا والعقيدة صلة، ولكن هذه الصلة غير قائمة على الدوام .

ومن هنا كان الخلط في بعض الكتابات المعاصرة، حيث تترجم الأيدولوجيا(Ideology) إلى "العقيدة"أو"المذهب".[1]

3-الأيديولوجيا في فلسفة الأنوار:

أما إذا أردنا معرفة الطابع الذي كان يتسم به الفكر الأيديولوجي في فلسفة الأنوار، فلا بد من الاعتراف بفضل الفلاسفة ورجال الفكر الذين مهدوا لثوب وازدهار الثورة الفرنسية من أمثال(بيكون، وديكارت ولوك وبنتام) وغيرهم ممن اثروا على الواقع الاجتماعي والسياسي لأوروبا في القرن الثامن عشر، وذلك عن طريق قوة الفكر التي أطلقها ديكارت وهو يهاجم الفلاسفة المدرسيين الذين نحوا العقل جانبا في دراساتهم، وإلى لوك يرجع الفضل الكبير حين دعا إلى ضرورة تمتع الإنسان بالقدر الكبير من الحقوق والحرمات العامة، وكان بيكون من سبقها إلى ذلك، حيث كان أول من تصدى بالهجوم لفكر العصور الوسطى لتمسكهم بالقوالب الكلاسيكية.[2] حيث ساهم جون لوك(1632-1704م) في الفكر الأيديولوجي بشكل كبير، حينما دعى إلى ضرورة تمتع الإنسان بالقدر الكبير من الحقوق والحريات العامة، وقد ساعدت كتاباته على تأسيس أول ملكية دستورية في انجلترا بعد صدور وثيقة إقرار الحقوق لعام 1688.[3]

وظهرت بعد ذلك قوانين الإصلاح البرلماني والتي نتج عنها توسيع في قاعدة السلطة السياسية بعد أن كانت مقصورة على الطبقة الوسطى والفضل كله يعود إلى الوثيقة التي أصدرها جون لوك والتي منها انحدر النظام الإنجليزي.[4]

[1]- محمد الأنصاري، المرجع نفسه ص 27-28.
[2]- عبد الرحمان خليفة، أيديولوجية الصراع السياسي، دار المعرفة الجامعية للنشر، الإسكندرية 1999، دط ،ص 104.
[3]- احمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع، ص19.
[4]- المرجع نفسه، ص19.

وعلى أية حال فان الفترة التي أعقبت القرن السابع عشر في أوروبا أو المسمى "بعصر العقل" والى انتهاء القرن التاسع عشر تعتبر من أخصب الفترات الفكرية التي عرفها تاريخ البشرية، وذلك بسبب كثرة ما ظهر فيها من نظريات وتصورات حول طبيعة الإنسان وتفسير علاقاته بالأوضاع الاجتماعية آنذاك،[1] وقد ساعد على ذلك التنوع والخصوبة امتلاء المرحلة بالثورات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي أعقبت خروج أوروبا من ظلام الإقطاع في العصر الوسيط، ودخولها في النظام الرأسمالي الصناعي وما أدى إليه من ارتفاع وعي الإنسان بالوسائل المتعددة، والطرق البديلة التي يمكن ان يسلكها في تنظيمه للمجتمع وتغيير معتقداته وانتماءاته الفلسفيةوالدينية والسياسية، لهذا كان طبيعيا أن تسمى الفترة كلها "بعصر الأيديولوجيا" وأن يصل المر بالبعض إلى اعتبار القرن الثامن عشر بعصر التنويه داخلا في تلك الفترة أيضا ونتيجة لذلك كثرت بشكل ملحوظ التعريفات حول ماهية الأيديولوجية.[2]

4-ظهـور الايديولوجيا كمصطلح:

والحقيقة أن لفظة "الأيدولوجيا" قد ظهرت أثناء الثورة الفرنسية بين الليبراليين الذين اهتموا بأنساق الأفكار المعيارية ونقد المعايير المطلقة في محاولة من جانبهم لإرساء وترسيخ الأهداف المثالية وإحلالها محل الأهداف المادية للمجتمع.[3]

وقد ابتدع هذا المفهوم فيلسوف فرنسي يدعى ديستوتديتراسيDESTUTTDETRACY (1754-1836) وأوردها في كتابه "مذكرة حول ملكة التفكير" عام1797، ثم كرر.[4]

استعمالها في كتابه بعنوان "عناصر الأيدولوجيا" ليدل بها على الفلسفة التي تطرح النظر الميتافيزيقي جانبا، وتقتصر على دراسة المعاني لتبين خصائصها وقوانينها وعلاقتها بالإشارات المعبرة عنها، محاولة بذلك استكشاف صولها، وأشار ديتراسي بذلك المصطلح إلى فكر جماعة من الفلاسفة

[1]- عبد الرحمان خليفة، ايديولوجية الصراع السياسي، ص105.
[2]- المرجع نفسه، ص 105
[3]- مرسى بدر، الايدولوجيا ونظرية التنظيم، مدخل نقدي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية 2008،دط،ص 05
[4]- احمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ، ص 19.

الثوريين بزعامة كون دلاك، والذي يحاول استخراج قواعد عملية للتربية والأخلاق والقانون والسياسة من خلال تحليل النظام الفسيولوجي والذهني للإنسان، ومن خلال تحليل مضمون تصوراته، [1] وقد سمى هؤلاء الفلاسفة أنفسهم الأيديولوجيينles idéologuesواتخذوا المنطلقات الفكرية التالية:

أولا: ليس العقل مبدأ ميتافيزيقيا كونيا وثابتا، وإنما هو شكل من أشكال الفكر يتغير طبقا للتغيرات في مصائر الجماعات، وقد رفض هؤلاء الفلاسفة الفكر الميتافيزيقي الذي كانت الطبقات الحاكمة المحافظة في أوربا تبرر به وجودها وتربعها على عرش السلطة.

ثانيا: يجب ان تتم دراسة الأفكار على أساس معطيات العلوم الإنسانية والنفسية على أساس المفاهيم والمنطلقات الميتافيزيقية.[2]

وقد كان ديسيت دي تراسي يهدف بذلك إلى تأسيس علم جديد هو "علم الأفكار" والذي يقصي كل معرفةتقوم على الإيمان والاعتقاد، وان قصور المعرفة من وجهة نظره، لا يعود إلى ضعف فطري في العقل الإنساني، ولكن إلىقصور في منهج التفكير، إن العقل يجب أن يتغلب على كل الأساطير والخرافات، والمعرفة ينبغي ان يقودها التفكير السليم، وهكذا فان علم الأفكار هو العلم الأولي الذي يوجه كل العلوم الأخرى، والأيدولوجيا هي نظرية النظريات، [3] وفي هذا الصدد يقول دي تراسي "يمكن أن نسمي العلم المقترح إيديولوجية إذا نظرنا إلى محتواه، ونحوا عاما اذا نظرنا الى وسيلته، ومنطقا اذا نظرنا الى هدفه"، [4] والهدف بالطبع هو التوصل إلى تفكير سليموفي الوقت الذي يرى فيه "عبد الله الكندي"أن دي تراسي عندما بدا في تأسيس علم قد التزم بالمعنى اللغوي المقابل للمصطلح، بحيث ان مصطلح الأيدولوجيا مركب من مقطعين:IDEAومعناها فكرة، وLOGOSومعناها علم. لتكون ترجمته اللغوية الدقيقة هي "علم دراسة الأفكار".[5]

[1]- احمد رشوان، المرجع نفسه، ص 19-20.
[2]- مرسى بدر، الايدولوجيا ونظرية التنظيم، مدخل نقدي، ص05-06.
[3]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايدولوجيا، ص10.
[4]- عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجيا، ص 23.
[5]- وسيلة يعيش، مرجع سبق ذكره، ص23.

واضعا نظاما متكاملا من الخطوات المنهجية التي يتم الاعتماد عليها في الوصول إلى الحقيقة الكلية، مستبعدا كل التبريرات التي يصنعها البشر أنفسهم، فيستغنون بما يملكون من تفسيرا جاهزه للظواهر عن دراستها وفحصها بشكل متعمق يصل إلى إجابات جديدة وأسئلة أخرى.[1]

وقد طرأ تحول على معنى لفظ الأيدولوجيا خلال عهد نابليون، عندما أصبحت الأيدولوجيا تكاد تعني أي رأي ذي طابع ثوري، بمعنى أي رأي مضاد لنابليون ذاته، كما أن نابليون نفسه عندما وجد أن هذه المجموعة من الفلاسفة- أي الإيديولوجيين — تعارض تطلعاته الاستعمارية الامبريالية، فأطلق عليهم باحتقار اسم الإيديولوجيين، وهكذا فان لفظة الأيدولوجيا قد اكتسبت معنا تحقيريا مثل كلمة "اللاعملي" واحتفظت به حتى اليوم.[2] وهكذا فان هذه اللفظة استخدمها فلاسفة القرن الثامن عشر لتعني محاربة الأفكار المسبقة الموروثة من عصور الظلم والظلمات، وكذلك الأفكار الجديدة المعارضة للسابقة، والتي تستخدم العقل الكاشف للحقيقة وهو ذلك العقل الذي لا يختلف في الفرد عما هو في الانسانية جمعا. ومنذ أوائل القرن التاسع عشر اكتسب مفهوم الأيدولوجيا وضعيته ومكانته، فقد قصد الفلاسفة الألمان، ولا سيما جورج ويلهيم فردريك هيجل (1780-1831م)، والرومانسيين بها "كيانا فكريا يعبر عن الروح التي تدفع الحقبة التاريخية إلى السعي لتحقيق هدف معين، لابد آن يكون له دور في الخط الذي رسمه التاريخ العام للبشرية.[3]

ويعد هيجل من أعظم فلاسفة الألمان اللذين نجحوا في تقديم مذهبا مثاليا أكثر اتساقا، ومما لا شك فيه ان فكرهوخاصةمنهجه قد كان له تأثيرا بالغا على لاحيقيه، وخاصة أقطاب الماركسية(ماركس، انجلز، ولينين) في صياغتهم للإيديولوجية الماركسية.[4] وكما هو معروف ان المذهب المثالي Idealismمشتق لغويا من كلمة Idea أي فكرة ومعنى ذلك انه مذهب يرتكز على الفكر، آو هو المذهب الذي يجعل الفكر أو العقل أو الروح، و-هي كلمات متقاربة المعنى- أساسا له، ولم

[1]- وسيلة يعيش، المرجع نفسه، ص 23.
[2]- مرسى بدر " الايديولوجيا ونظرية التنظيم مدخل نقدي "، ص07
[3]- احمد رشوان، الايدولوجيا والمجتمع، ص22.
[4]- محمد الأنصاري الايديولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ص 31.

يخرج هيجل عن هذا التعريف التقليدي للمذهب المثالي، فالفكر عنده هو الأساسلكل شيء بل وهو الحقيقة النهائية لكل شيء، ولذلك فان كل مالايتفق مع الفكر.[1]

لابد من تجاوزه لأنه تزييف للحقيقة، والروح عند هيجل هي الأساس وهي التي تصنع ذاتها وتكون نفسها نتيجة لنشاطها الخاص بحيث تصبح موضوعية ونشاطها الخاص هوتجاوز لدائرة الوجود المباشر البسيط غير المنعكس، وهو سلب لهذا الموجود وعودة الى ذاتها.[2] وتقوم فلسفة هيجل على الجدل الذي يتكون من الفكرة، ونقيضها ثم المركب منهما، ويتضمن النسق الهيجلي، أولا: المنطق وثانيا:فلسفة الطبيعة وثالثا:فلسفة الروح، ويشير المنطق إلى الفكرة ذاتها، وتشير فلسفة الطبيعة إلى الفكرة في ذاتها، وتشير فلسفة الروح الى الفكرة في ذاتها. فالمنهج الفلسفي عند هيجل هو المنهج العقلي أو المنهج الذي يعبر عن نسيج العقل ذاته ونسيج العقل مجموعة هائلة من المقولات المتناقضة التي ترتبط فيما بينها ارتباطا عضويا محكما.[3] وعليه فقد أعطى هيجل الأسبقية للوعي الذي يخلق بدوره العالم، بينما المنهج الجدلي المادي ينطلق من العالم أولا، وبعبارة أخرى فان المنهج الهيجلي هو حوار العقلي الخالص مع نفسه، والجدل المادي هو حوار العقل مع الواقع والأشياء المادية.[4]

أما عن الايديولوجيا السياسية عند هيجل فلقد عملت على تمجيد الدولة القومية ورفعها فوق مصاف الأفراد الأعضاء فيها ورأى بان الدولة ما هي إلا المركب أو الحركةالثالثة في سير النظم السياسية والاجتماعية من أسرة تقوم على التعاون والمسؤولية، إلى مجتمع يقوم على التنافس والتناحر، ثم أخيرا إلى دولة قومية تجمع شمل امة من الأمم وتحقق للمواطنين الحرية التي قام بها الواجب والخضوع للقانون، وبهذا يكون هيجل قد أعطى للدولة صبغة القداسة، واعتبرها مصدر القيم وكل الحقائق الروحية.[5]

[1]- عبد الفتاح إمام، دراسات هيجلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985، د.ط،ص13-14.
[2]- المرجع نفسه، ص20.
[3]- محمد الأنصاري الايديولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص32.
[4]- أحمد رشوان، الايدولوجيا والمجتمع، ص22.
[5]- محمد الأنصاري، مرجع سبق ذكره، ص33-34.

وإذا ما أردنا أن نلخص "الفكر الأيديولوجي" لدى فلاسفة الألمان لا سيما هيجل ومن سار على نهجه تجاه الايديولوجيا يمكننا القول بأن"الايديولوجيا" كانت تعني لديهم منظومة فكرية، تعبر عن الروح التي تدفع وتحفز الحقبة المعينة لتجعلها تسير الى الهدف المحدد لها في خط وخطة التاريخ العام ومن ثم فإنهم كانوا ينظرون إلى الايديولوجيا انطلاقا من التاريخ كخطة واعية بذاتها.[1]

ومنه نقول بان الأفكار الهيجلية كانت من بين الدوافع لظهور نظرية حديثة حول مفهوم الايديولوجيا والتي ظهرت مع الفيلسوف الشهير كارل ماركس الذي اخذ كثيرا عن هيجل، تطور مفهوم الايديولوجيا خاصة ونظريته عن التاريخ.[2]

5-تطور مفهوم الايديولوجيا:

قدم كارل ماركس (1818-1883) مدخلا لفهم وتفسير الايديولوجيا ودورها في حياة المجتمع وعلاقتها بالعالم الحقيقي، حيث يعزى له الفضل في بيان علاقة الايديولوجيا بشروطها وظروفها الاجتماعيةوالساسية والاقتصادية.[3]

وفي هذا الصدد نجد عبد الله العروي في كتابه "مفهوم الايديولوجيا"، يصرح بأن "كارل ماركس" هو الذي أعطى لكلمة الإيديولوجية الأهمية التي تكتسيها اليوم في كل ميادين البحث.[4]

حيث شهد مفهوم الايديولوجيا تطورا هاما على يد كارل ماركس الذي اكسبه صبغة مادية واضحة، حيث أسبغ ماركس على المصطلح معنى التعبير عن مصالح الطبقة السائدة، والستار الذي يخفي خبايا السيطرة والنهب والاستغلال، ذاهبا إلى أن البروليتاريا وحدها هي القادرة على مجاوزة حالة التشويه الإيديولوجي هذه بالسيطرة على وسائل الإنتاج، والقضاء على التفاوت الطبقي، [5]ولقد [5]ولقد شهد التصور المادي للأيدولوجيا تطورات عديدة والتي انتهت إلى أن " الايديولوجيا هي منظومة الأفكار ووجهات النظر السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية...،

[1]- عبد الرحمان خليفة، إيديولوجية الصراع السياسي، ص131.
[2]- المرجع نفسه، ص 122.
[3]- احمد رشوان، الايدولوجيا والمجتمع ص23.
[4]- عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، ص29.
[5]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايدولوجيا، ص 11.

فالأيدولوجيا هي جزء من البناء الفوقي في رأي كارل ماركس، وهي بهذه الصفة تعكس في النهاية العلاقات الاقتصادية، في مجتمع من الطبقات المتطاحنة يتطابق الصراع الإيديولوجي مع الصراع الطبقي، وقد تكون انعكاسا حقيقيا او خادعا للواقع، فمصالح الطبقات الرجعية تغذي إيديولوجيا زائفة، في حين ان مصالح الطبقات التقدمية الثورية تساعد على تجسيد إيديولوجيا علمية حقيقية.[1] وبهذا يكون كارل ماركس قد أضفى الايديولوجيا مفهوما سلبيا، إلى جانب أنها لا تتعايش إلا بالصراع، وذلك حينما كان يرى في الايديولوجيا وهما أو زيفا.[2]

كماأنه قد رفع من قدر المادة في مواجهة الفكر، ويكون بهذا قد قدم نظرة غير طيبة للمفهوم.[3]وكخلاصة للفكر الإيديولوجي الماركسي نقول بان كارل ماركس كان ينظر إلى الإيديولوجية على انها منظومة فكرية تعكس البناء الاجتماعي كله، وقد كان الماركسيون يعتبرونها التعبير الفكري لما كان يتفاعل في المجتمع من عوامل ولاسيما المادية منها.[4]

ولقد شهد المفهوم الماركسي للأيدولوجيا تطورات هائلة، وأصبح يضم عناصر غير ماركسية، وبالذات فيما يتعلق بمدى استغلال الايديولوجيا عن الظروف المادية وتأثيرها فيها، وللإمام بهذه التطورات لا بد من الاطلاع على بعض المفكرين الذين ساهموا في إثراء المفهوم الماركسي للأيدولوجيا وأولهم نجد "لينين فلاديمير "(1902-1988) الذي تجاوز المفهوم السلبي للأيدولوجيا، ووحد بين مفهوم النظرية ومفهوم الايديولوجيا، وعمل على التمييز بين الايديولوجيا العلمية والايديولوجيا اللاعلمية، واعتبر بان كل إيديولوجيا هي نسبية تاريخيا، ولكن كل إيديولوجيا علمية.[5]

ولقد وصف لينين في كتابه ما العمل؟ أفكار البروليتاريا باعتبارها "الايديولوجيا الاشتراكية" أو "الايديولوجيا الماركسية" وهي عبارات كانت ستبدو سخيفة بالنسبة لماركس، ولكن بالنسبة للينين ومعظم الماركسيين اللاحقين، تشير الايديولوجيا الى الأفكار المميزة لطبقة اجتماعية معينة، تلك

[1]- المرجع نفسه، ص 11-12.
[2]- عبد الرحمان خليفة، إيديولوجية الصراع السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 131-130.
[3]- المرجع نفسه، ص 126.
[4]- المرجع نفسه، ص 132.
[5]- محمد الانصاري الايدولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ص36-37.

الأفكار التي تقدم مصالحها بغض النظر عن موقعها الطبقي، ولان كل الطبقات كالبروليتاريا وكذلك البرجوازية، تمتلك على أية حال إيديولوجيا معينة أزالت عن المصطلح دلالته السلبية أو الانتقاصية، ولم تعد الايديولوجيا توحي بالضرورة بالزيف والغموض، ولم تعد تقف في مواجهة العلم، وجرى بالفعل الاعتراف بان الاشتراكية العلمية"الماركسية" هي شكل الايديولوجيا البروليتارية.[1] ونجد كذلك "جورج لوكاتش" والذي أعطى دورا كبيرا للأيدولوجيا، حيث نظر إليها ابعد من أنها مجرد انعكاس للمصالح الاقتصادية، بل هي عنده قوة محركة، ولها دورها في التاريخ، ولهذا فلقد سعى الى اقتلاعها من جذورها المادية التي ركز عليها ماركس.[2]

وختاما فقد ذهب " لوكاتش" ابعد من "ماركس"و"انجلز"وحتى "لينين"في إضفائه الصبغة العلمية على الايديولوجيا البروليتارية.[3]

كما نجد قراءات أخرى لمفهوم الايديولوجيا مع "انتونيوغرامشي" الذي اهتم بالوظيفة التي تؤديها الايديولوجيا، فالأيدولوجيا عنده تصور للعالم يمثله عقيدة تحفز على العمل، فهي أساس كل نظام اجتماعي وسياسي، لان المجتمع لا يقوم على العنف بل يقوم أيضا على الهيمنة الإيديولوجية[4] ولعل انتونيوغرامشي(1935-1971)، قام بتطوير النظرية الماركسية عن الايديولوجيا إلى حد ابعد، حيث يرى غرامشي أن نظام الطبقات الرأسمالي لا يقوم ببساطة على عدم تكافؤ في القوة السياسية والاقتصادية ولكن على ما أطلق عليه "هيمنة"النظريات والأفكار البرجوازية، وتعني الهيمنة، القيادة أو السيطرة وتشير الهيمنة الإيديولوجية إلى قدرة تشكل في الواقع المعنى العام للعصر.[5]ويلقي جرامشي الضوء على درجة تجذر الأيدولوجيا في كل مستوى من مستويات المجتمع، في فنونه وآدابه، وفي نظامه التعليمي وإعلامه الجماهيري، وفيلغة الحياة اليومية والثقافة الشعبية.

[1]- اندروهيود، مدخل إلى الإيديولوجيات السياسية، ترجمة:محمد صقار، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة الطبعة الأولى 2012، ص17.
[2]- محمد الانصاري،الايدولوجياواليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة مرجع سبق ذكره، ص37-38.
[3]- وسيلة *بعيش*، تدريس علم الاجتماع بين العلوموالايدولوجيا، ص19
[4]- محمد الانصاري،مرجع سبق ذكره ا ص38.
[5]- اندروهيود، مرجع سبق ذكره ، ص17-18.

أما التطور الأهم لمفهوم الأيدولوجيا فقد حدث عند عالم الاجتماع الألماني كارل مانهايم(1893-1947) في القرن العشرين، وخاصة وانه عمل على التنظير للأيدولوجيا والتمييز بين المستويات المعرفية المختلفة للمفهوم الجزئي والمفهوم الكلي، وفي إطار هذا التصور فانمانهايم قد أعطى لليوتوبيا قوة التغيير، ولم تصبح المسالة قاصرة على دور الأيدولوجيا في التغيير.[1]

وسنورد في الفصول القادمة تفصيلا لإسهامات كارل مانهايم في تطوير هذا المفهوم(الأيدولوجيا) والذي يعد المحور الهام والرئيسي في بحثنا هذا، وبالتالي سيكون محل دراسة موسعة في بقية الفصول.

ولقد ظهرت محاولات عديدة في السنوات القليلة الماضية ومع التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر في تحليل الأيدولوجيا. فقد قام "هابر ماس" بتحليل التكنولوجيا والعلم كأيديولوجيا وذلك من خلال تركيزه على ترشيد المجتمع في ضوء تنظيم العلم والتكنولوجيا، ونخص التبرريرات المعاصرة للسيطرة الرأسمالية على أنها إيديولوجيا وفي الرأسمالية يصبحالعلم نقدا للأيديولوجيا.[2]

ولقد أوضح هابر ماس كلامه عن الأيدولوجيا الجديدة في كتابه"العلم والتقنية كأيدولوجيا"حيثيقول:"من جهتنا تتبعنا سيرورة العقلنة هذه من أعلى حتى النقطة التي بدأ فيها كل من العلم والتقنية ذاتهما يأخذان أهمية إيديولوجيا بديلة بالنسبة الى الايديولوجيات البرجوازية المنهارة في هيئة وعي عام وضعي"[3]بمعنى أن هابر ماس قد جعل من العلم والتقنية كأيدولوجيا بديلة عن الإيديولوجيات البرجوازية المنهارة. وبهذا يكون"الوعيالتكنوقراطي"هوالأيدولوجياالجديدة، والعامل الموازن بين الواقع المجتمعي وتحليل الأنساق.

وقد عالج"الفن جولندر" العلاقة بين الأيدولوجيا وعلم الاجتماع، حيث ان دراسة الأيدولوجيا وفهمها في وجهة نظره، يعيننا على فهم علم الاجتماع واستيعابه بصورة أفضل وتعتبر

[1]-عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص 80-81.
[2]- مرسى بدر، الايدولوجيا ونظرية التنظيم مدخل نقدي ص12-13.
[3]- يورغن هابر ماس، العلم والتقنية كأيدولوجيا، ترجمة حسن، منشورات الجمل كولونيا –ألمانيا، الطبعة الأولى 2003، ص 85.

الأيدولوجياحسب جولندر نسقا فكريا علمانيا ونسقا عقلانيا أيضا، وليس ذلك فحسب، بل وأنها ترتبط بالممارسة أيضا.[1]

ويمكن القول في الأخير بان الأيدولوجيا تمثل فرض وضع مادي معين من جانب جماعة الصفوة والتي توازن الواقع الاجتماعي مع خصائص النسق الاقتصادي الخاص به من خلال تجريدات معينة، ومن ثم تظهر الأنماط الزائفة أو المحدودة للإدراك والوعي المسببة للاغتراب والحتمية الاجتماعية.[2]

وهكذا يتضح من خلال تتبعنا السابق لأصول الأيدولوجيا ومضامينها المختلفة، ان مضمون هذا المصطلح قد تأثر بالتطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات، فبعدما كانت الأيدولوجيا مجرد قواعد سلوكية في القديم، تطورت وأصبح ينظر أليها على أنها علما جديدا ومبتكرا للأفكار، يبحث في خصائصها ويركز على التحليل العلمي لها، ويهدف إلى إرساء أساس علمي جديد للنظام السياسي والاجتماعي في مواجهة النظام القديم غير العلمي، وجاء القرن التاسع عشر بثوراته الاجتماعية بنشاطه الإيديولوجي الشديد، واحدث تغييرات وتعديلات على مفهوم الأيدولوجيا، فنجد كارل ماكس يعتبرها إنتاجا فكريا عن وعي من جانب الطبقة الحاكمة يتفق مع وضعها ومصالحها الخاصة، وتمثل في نفس الوقت أفكارا زائفة من جانب جماهير الشعب العام، أما في أيامنا هذه فينظر إلى الأيدولوجيا باعتبارها مجموعة التبريرات المعاصرة لسيطرة الطبقة الحاكمة في ظل العلم التكنولوجيا.

[1]- مرسى بدر،الايدولوجيا ونظرية التنظيم مدخل نقدي، ، ص 13.
[2]- المرجع نفسه، ص14-15.

الفصل الأول

مفهوم الأيديولوجيا

_المبحث الاول:الايديولوجيا دراسة معجمية.

_المبحث الثاني:خصائص الأيديولوجيا

_المبحث الثالث: وظائف الايديولوجيا

المبحث الأول: الأيديولوجيا دراسة معجمية

إنه لمن الصعب أن نعالج مسألة شائكة وعسيرة كمسألة الأيديولوجيا(Ideology)، وبخاصة طبيعتها ومصادرها[1] ولهذا يعتبر مفهوم الأيديولوجيا من أعقد المفاهيم في مجال الدراسات الانسانية بصفة عامة، فهناك شبه اتفاق بين الباحثين في العلوم الاجتماعية على أنه ليس هناك تعريف جامع مانع لمفهوم الأيديولوجيا، شأنه شأن كثير من المفاهيم في العلوم الانسانية والاجتماعية بالإضافة الى أن كلمة أيديولوجيا في حد ذاتها هي كلمة غربية الأصل، وليس لها مرادف دقيق باللغة العربية،[2]ونجد لمصطلح الأيديولوجيا مكانة خاصة يشغلها في أدبيات العلوم الاجتماعية ودراسات علوم السياسة وعلم الاجتماع، والأيديولوجيا شأنها شأن مصطلحات العلوم الاجتماعية التي تصدت لها تعاريف شتى، ولم تستقر على تعريف واحد بل هناك من ينكر وجودها أصلا، وهناك من يطرحها على اعتبار أنها لصيقة بالفكر الماركسي دون سواه، وهناك من يتحدث ليل نهار بالأيديولوجيا ويدعي في ذات الوقت أنها تؤدي الى التعصب ...إلخ،[3]ويرجع الاختلاف في معاني هذا المصطلح الى تطور معاني هذه الكلمة عبر حقب الزمن، مما جعل كل حقبة بفلاسفتها تذهب مذهبا مختلفا في التعريف عن سابقتها ولاحقتها تبعا لما يسودها من فلسفات، كما يرجع الاختلاف في تعريف الأيديولوجيا الى تداخل الفكر الفلسفي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي في مجال دراسته فهي تدخل في مجال علم السياسة وترتبط بعلم النفس من خلال عملية تحويل شعور الافراد وتوحدهم مع الجماعة ذلك أن الأيديولوجيا تنمو من خلال الوعي الصادق بين أعضاء الجماعة أو المجتمع أو بين بعضهموفضلا عن ذلك فانه يتردد في ميدان علم الاجتماع بعض الاقوال التي تؤكد نهاية الأيديولوجيا ولكن الواقع أن العالم الصناعي اليوم يشهد نموا متزايدا للظروفالمهيئة لدعم الأيديولوجيا لدعم الأيديولوجيا وزيادة فعاليتها.[4]

[1]- اسماعيل قباري، علم الاجتماع والايديولوجيات، المكتب العربي الحديث للطباعة والنشر الإسكندرية، د ط، 1979 ص

[2]- محمد الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة، ص 17.

[3] - أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ص 03.

[4]-المرجع نفسه ص 03.

1) تحديد دلالة المصطلح:

إن محاولة تحديد المعنى اللغوي لمصطلح "الأيديولوجيا" ترجع بنا مباشرة الى أصول الكلمة في الفكر اليوناني، فالكلمة يعبر عنها في اللغة الانجليزية بالمصطلح "Ideology" وتتألف هذه الكلمة من مقطعين هما: (Idea) والتي يقابلها في اللغة اليونانية كلمة (Idea) والتي تعني فكرة أو ما هو متعلق بالفكر، والمقطع الثاني يقابله في اليونانية كلمة (logos) اي علم وبالتالي تصبح كلمة أيديولوجيا بهذا تعني "علم الأفكار" أو ذلك العلم الذي يدرس ما هو متعلق بالفكر.[1]

ويرى فريق آخر من العلماء أن الأيديولوجيا كلمة لاتينية الاصل يقصد بها علم الصور أو الخيال أو علم المثاليات، ويتمثل هذا في التصور الأفلاطوني لأصحاب الكهف ووعييهم الزائف بحقيقة وجودهم.

وورد في دائرة المعارف السويدية أن الفلاسفة الفرنسيين استخدموا هذا اللفظ عام 1796للتعبير عن المعرفة السيكولوجيا والفلسفية وتحقيق الأفكار.[2]

ولعل أول من وظف الأيديولوجيا كمفهوم يقصد به علم الآراء والافكار هو الفيلسوف الفرنسي "ديستوت ديتراسي"[3] ولهذا نجد لا لاند في "معجمه الفلسفي النقدي" يقول:«بأن كلمة الأيديولوجيا ابتدعها "د تراسي" عام 1796 ليدل بها على العلم الذي يدرس الأفكار بمعناها العام على أنها وقائع الوعي، وذلك من خلال خصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالعلامات التي تمثلها».[4] وأعلن ديتراسي أن هذا العلم الجديد سوف يتمتع بنفس المكانة الخاصة بالعلوم الراسخة كعلم الأحياء وعلم الحيوان[5].

---

[1]- محمد الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ،ص18.
[2]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع، ص04.
[3]- كارل ما نهايم " الميثافيزيقا : العصور والأيديولوجيا" نقلا عن عبد السلام بنعبد العالي، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، ط01، 1981، ص 50.
[4]- أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص04.
[5]-أندروهيود، مدخل الى الأيديولوجيات السياسية ،ص 15 .

ويشير "دليل اكسفورد" الى أن الفيلسوف "د تراسي" أشار الى هذا اللفظ أما م المجلس الوطني في فرنسا 1796 واقترح اطلاق كلمة ايديولوجيا على الفلسفة العقلية. وعرفها بأنها علم الأفكار والآراء، أو هي ذلك الجزء من الفلسفة أو علم النفس الذي يبحث في أصل وطبيعة الآراء والمعتقدات[1]. وقد أوضح هذا المعجم الفلسفي أكثر الاستخدامات أهمية للمصطلح والذي يكون في الفلسفة وعلم السياسة المعاصرين في دلالة أكثر قصرا وقيمية حيث تشير الى مجموعة من المعتقدات والقيم يتبناها فرد أو جماعة لأسباب ليست ايستمولوجية، مثل الأيديولوجيا البرجوازية، الأيديولوجيا القومية أو الأيديولوجيا[2] الجنسية كما ذكر أيضا أن مدرسة فرانكفورت قد طورت مفهوما في الأيديولوجيا ومفاده أنها "بنية اتصالية متشوهة تشويها منتظما من قبل علاقات القوة".[3]

ولقد ذكر مراد وهبة في معجمه الفلسفي«أن مصطلح أيديولوجيا ابتدعه "ديستوتدتراسي" للدلالة على الفلسفة التي تطرح جانبا النظر الميتافيزيقي وتقصر همها على دراسة المعاني (بالمعنى العام أي الظواهر النفسية) لتبيين خصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالإشارات المعبرة عنها، محاولة بنوع خاص استكشاف أصلها » كما ذكر أيضا أن مصطلح الأيديولوجيا انصرف بعد ذلك الى معنى ينطوي على السخرية والتحقيرفدل على التحليل الاجوف والمنافسة العقيمة والتفكير الخيالي. كما عبر مراد وهبة أيضا على أن الأيديولوجيا أنها "نسق من الافكار السياسية والخلقية والجمالية والدينية".[4]

أما (ابراهيم مذكور) فلقد أورد في معجمه الفلسفي مجموعة من التعريفات حول مفهوم الأيديولوجيا إذ يقول بأنها:

أ – هي علم الأيديولوجيا (علم الافكار) وموضوعه دراسة الافكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها والبحث عن أصولها بوجه خاص، كما صوره د تراسي.

ب – تطلق على التحليل والمناقشة لأفكار مجردة لا تطابق الواقع.

---

[1]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ص04.
[2]-تدهوندرتش، دليل أكسفورد ج 1، تر: نجيب الحصادي، دون دار نشر، دط، دس، ص 128-129
[3]- المرجع نفسه، ص 128 – 129
[4]-مراد وهبه، المعجم الفلسفي، ص 121.ولمزيد من الاستفسار انظر: عبد الغني عبود وآخرون، الايديولوجيا والتربية والنظام العالمي الجديد، دار الفكر العربي، ط1، 2000، ص 31-32.

جـ –عند ماركس هي جملة الآراء والمعتقدات الشائعة في مجتمع ما، دون اعتداد بالواقع الاقتصادي ».[1]

وقد جاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية أنهذه الكلمة تعني نسقا من الأفكار والآراء السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية.[2]

أما قاموس علم الاجتماع فيعرف الإيديولوجيا بأنها:«نسقا من المعتقدات والمفاهيم يسعى الى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منطق يوجه ويبسط الاختيارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات، وهي:[3]

من منظار آخر نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما، وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والاخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبررها في نفس الوقت ».[4]

أما المنجد الابجدي فيشير الى أن "الأيديولوجيا" هي فن البحث في التصورات والافكار مكتفيا بالمفهوم الأكاديمي كما وصفه "دستوت د تراسي".

ويشير قاموس الفرنسية الى أن الأيديولوجيا هي مجموعة الأفكار، الأراء، المعتقدات الخاصة بحقبة مجتمع أو جماعة.

والأيديولوجيا كما أشار اليها المعجم العربي الأساسي هي:

1 –مذهب سياسي أو اجتماعي، يشهد العالم اليوم صراعا بين ايديولوجيات مختلفة كالاشتراكية والرأسمالية

2 – في الفلسفة: علم الأفكار وموضوع دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وأصولها».[1]

---

[1]- ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة دط، 1983، ص29.
[2]- محمود جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس ومصطلحات، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، بيروت – لبنان دط، دس، ص192-193.
[3]-كارل منهايم، الميتافيزيقا: العصور والايديولوجيا، ص 49 .
[4]-المرجع نفسه ،ص 49

2) تعريف كارل ماركس للأيديولوجيا:

ويعتبر كارل ماركس مؤسس النظرية الحديثة في الأيديولوجيا ودعى الى ضرورة الاهتمام بحياة الناس وتاريخهم من خلال تعريفه للأيديولوجيا حيث قدم ماركس أكثر من تعريف لها فمرة يقول : " انها التعبير العقلي أو الفكري الذي يعكس النظام الاجتماعي والمحدد تاريخيا من جملة من المصالح الاجتماعية ضمن وضع أو موقف معين. ومرة أخرى يقول " أنه ليس من الضروري أن ترتبط بالمجتمع ككل، اذا هي النتاج الفكري للطبقة الحاكمة، فهي مجموع من الافكار والتصورات الواعية التي تنتجها الطبقة الحاكمة من الواقع المجتمعي المعايش والتي تتفق ومصالحها الخاصة، ويؤكد ماركس أن أفكار الطبقة الحاكمة في كل عصر تسود أو تصبح النموذج السائد في المجتمع، وتسيطر وتستغل الطبقات الأخرى.[2]

ويعرفها ماركس أحيانا أخرى "بأنها وعي زائف وأفكار زائفة من جانب العامة تتعلق بالواقع وتعكس مصالح خاصة للطبقة الحاكمة"[3] بمعنى أن كل جهود الانسان الفكرية من دين وفلسفة وأخلاق وقانون وأدب وفن[4] ... تتلاشى في أيديولوجيا واحدة تخدم امتيازات الطبقة السائدة ولهذا فالأيديولوجيا عند "ماركس" تضليل وخداع بل وهي وهم زائف.[5]

ولقد حاول "غورفتش" اعطاء معاني مختلفة لمدلول مصطلح الأيديولوجيا الذي قدمه ماركس، حيث اعتبر أن هذا المصطلح لم يزل متقلبا في ذهن ماركس، وبالتالي ميز غورفتش بسهولة ثلاثة عشر معنى مختلفا لا يحجب بعضها بعضا الا بدرجة جزئية، ويمكن ان نأخذ هنا بعضا منها: حيث يشير المعنى الأول للأيديولوجيا إلى:

[1]- وسيله يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ،ص35-36.
[2]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ،ص05.
[3] -المرجع نفسه، ص : 06 .
[4]-وسيلة يعيش، مرجع سبق ذكره ،ص 22.
[5]- مرجع نفسه ،ص 22 .

1- التخيلات الجماعية أو الأوهام، والتصورات الكاذبة غير الواعية التي يرسمها الناس والجماعات والطبقات عن أنفسهم وعن خصومهم وعن المجموعات التي يشتركون فيها والاوضاع الاجتماعية التي يوجدون فيها. وتأخذ الأيديولوجيا معنى آخر وهو أنه تعبر عن :

2 – المذاهب الفكرية المؤلفة من أجل تبرير أوهام، أو تقديرات تفسيرية تتصل بمواقف اجتماعية وخاصة بالصراع الطبقي من وجهة نظر طبقة معينة.[1]

وهكذا نصل الى القول بأن "الأيديولوجيا" عند ماركس اتسمت بالطابع المادي فهي تبرير للمصالح الاقتصادية والقوى السياسية للطبقة السائدة في المجتمع ٍ[2]

وتعني عند "نيتشه" مجموعة من الاوهام والتعليلات والحيل التي يحاول بها الانسان التكيف مع قوانين الحياة.

ويقصد: سيجموتد فرويد (1856-1939) بالأيديولوجيا مجموعة من الأفكار الناتجة عن تطبيق قانون الله الضروري في رأيهلبناء الحضارة .[3]

ولقد قدم الدكتور " محمد علي أبو ريان " تعريفا مهما للأيديولوجياحيث يقول « بأن الأيديولوجيا تنطوي على مجموعة من العقائد والافكار والتصورات والمشاعر والتقاليد والآمال والظروف الزمانية والمكانية التي تؤثر في انماط السلوك للأمة والجماعة. ومن ثم لابد من ملاحظة الارتباط بين الفكر والعمل في المكونات الأيديولوجيا».[4]

وتبيين دراسة "محمد سبيلا" عن "الأيديولوجيا" وهي من الدراسات الحديثة والمتقدمة رؤية ابستيمولوجية لها أهميتها في هذا المجال، إذ يميز بين تصورين متباينين للاديولوجيا، أما التصور الاول فهو تصور كلي شامل يجعل الأيديولوجيا بمثابة الكل الذي تندرج تحته كل صور وأشكال الناتج الثقافي والرمزي للمجتمع، نظرا لما تؤديه من دور معنوي أو روحي للحياة الاجتماعية كلها وبذلك

[1]-محمد سبيلا، الايديولوجيا (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2006 ص 41-42.
[2]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ،ص22.
[3]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ،ص07.
[4]-مرجع نفسه، ص 09.

تتخذ الأيديولوجيا سبغة الثقافة العامة، وتصبح مرادفة لها من حيث التصور. ويؤدي هذا التصور في رأي محمد سبيلا الى نوع من الخلط والتضارب بين المصطلح" أيديولوجيا " ومصطلح " ثقافة "[1] .

وأما التصور الثاني الذي يشير اليه فيقصر مصطلح الأيديولوجيا على الظواهر السياسية والعمليات والمؤسسات السياسية، مما يجعله يتناول التصورات المتعلقة بالحكم والسلطة وتوجيه المجتمع. وهذا التصور يغطي الاستعمال السياسي للمصطلح .

أما من الناحية الابستيمولوجية فان "محمد سبيلا" يؤكد أن الأيديولوجيا هي المصطلح المستعمل للاشارة الى كافة أشكال التفكير والتعبير غير العلمية أي غير الوصفية وغير الحيادية[2]

ولقد أوضح عبد الله العروي في كتابه مفهوم الأيديولوجيا خمسة استعمالات رئيسية للمفهوموهي:

أولا: استعمال القرن الثامن عشر حيث « تعني الادلوجة (الأيديولوجيا) الافكار المسبقة الموروثة عن عصور الجهل والاستعباد والاستغفال. يتقابل في هذا الاستعمال التقليد الجاهل مع العقل الكاشف عن البديهية، وهو عقل لا يختلف في الفرد وفي الانسانية جمعاء . فينظر إلى الادلوجة انطلاقا من العقل الفردي.[3] كما تكلم عن هذه الاستعمالات أيضا محمد سبيلا في كتابه (الايديولوجيا).

ثانيا: استعمال الفلاسفة الألمان، هيغل والرومانسيين بوجه خاص حيث تعني الادلوجة منظومة فكرية تعبر عن الروح التي تحفز حقبة تاريخية الى هدف مرسوم في خطة التاريخ العام. فينظر الى أدلوجة انطلاقا من التاريخ كخطة واعية بذاتها .

[1]-محمد الانصاري، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ص 19 .
[2]- المرجع نفسه ص 20 .
[3]-عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجيا ص 103.

ثالثا: الاستعمال الماركسي حيث تعني الأدلوجة منظومة فكرية تعكس بنية النظام الاجتماعي فينظر الى الادلوجة انطلاقا من البنية الباطنية للمجتمع الانساني الذي يتميز بإنتاج وسائل استمرارية.[1]

رابعا: استعمال نيتشه حيث تعني الأدلوجة مجموع الأوهام والتعليلات والحيل التي يعاكس بها الانسان " الضحية " قانون الحياة فينظر اليها انطلاقا من الحياة كظاهرة عامة تفصل عالم الجماد عن عالم الحيوان.

خامسا: استعمال فرويد حيث تعني الأدوجة مجموع الفكرات الناتجة عن التعاقل الذي يبرر السلوك المعاكس لقانون اللذة والضروري لبناء الحضارة. فينظر اليها انطلاقا من اللذة وهي ميزة الحيوان وبالتالي ميزة الانسان الأولى.

في هذه الاستعلامات الخمس تتغاير التعابير (تقليد، روح، بنية، وهم، تعاقل) وتختلف المطلقات التي تمييز الادلوجة عن الحق (عقل فردي، تاريخ عام، مجتمع انساني، حياة، حيوان) لكننا نلاحظ فيها تشابها بنيويا...[2]

ويذهب الدكتور عبد الله العروي في تعريفه لمفهوم الأيديولوجيا على أنه دخيل على جميع اللغات الحية، وذلك أن المصطلح وان كان يعني علم الافكار، الا أنه لم يحتفظ بالمعنى اللغوي اذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر ثم رجعت الى الفرنسية . كما أن العبارات التي تقابلها مثل: " منظومة فكرية، عقيدة، ذهنية ... الخ، تشير فقط الى معنى واحد من معانيها .[3]

ولقد ميز عبد الله العروي في تعريفة للأيديولوجيا بين ثلاث معاني كبرى يتخذها المفهوم تبعا للمجالات الاجتماعية التي يبرز فيه [4] اما "المجال السياسي"، حيث تعني في أحد جوانبها كل تفكير خادع، وأما المجال الثاني فهو المجال الاجتماعي حيث تعني مجموعة الافكار والقيم والمثل التي

[1] محمد سبيلا، الايديولوجيا (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة) ،ص20.
[2] عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجيا ،ص 103.
[3] محمد الأنصاري، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ،ص : 20-21.
[4] وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ،ص 31.

تتبناها جماعة ما والتي تحدد لها رؤيتها للواقع الاجتماعي وللتاريخ. وأما المجال الثالث فهو "الابستيمولوجي" حيث تعني المعرفة الظاهرية السطحية في مقابل المعرفة العلمية العميقة بالأشياء .[1]

ومنه يمكننا القول بأن الأيديولوجيا في المجال الأول تتخذ" شكل قناع تضليلي "، وفي المجال الثاني تتخذ معنى " رؤية كونية " أما في المجال الثالث تتخذ معنى " علم الظاهر "، ومن هذا المنطلق حاول محمد سبيلا سياغة نظرة

تكاملية للأيديولوجيا بوصفها«ظاهرة اجتماعية، ثقافية، سيكولوجيا، سياسية ومعرفية وليست ظاهرة سياسية فحسب كما يتبادر الى الذهن لأول وهلة بل إنها ظاهرة كلية تتعلق بمستويات الوجود الاجتماعي كافة.»[2]

ويمكن اعتبار أن المفهوم الأكثر تكاملا هو المفهوم الذي يحدد الأيديولوجيا بأنها «النسق الكلي للأفكار والمعتقدات والاتجاهات العامة الكامنة في أنماط سلوكية معينة. وهي تساعد على تفسير الأسس الأخلاقية للفعل الواقعي وتعمل على توجيهه. وللنسق المقدرة على تبرير السلوك الشخصي، وإضفاء المشروعية على النظام القائم والدفاع عنه. فضلا عن أن الأيديولوجيا أصبحت نسقا قابلا للتغير استجابة للتغيرات الراهنة والمتوقعة سواء كانت على المستوى المحلي أو العالمي».[3]

ولقد أوضح "قباري إسماعيل" في كتابه (علم الاجتماع والأيديولوجيات) الاختلاف في وجهات النظر القائمة حول مفهوم الأيديولوجيا بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع بحيث ينظر الفلاسفة الى الأيديولوجيا: "على أنها مجموع التصورات والاحكام العامة التي تسود مجتمعا من المجتمعات في أي عصر من العصور" وقد يستخدم هذا الاصطلاح في معان أخرى أكثر تحديدا أو ضيقا كي يشير فقط الى بعض النماذج أو « الاشكال من الافكار والمعتقدات » تلك التي تتعلق فقط بجماعة أو « زمرة اجتماعية » وهي تلك الأيديولوجيات بمعناها الضيق.[4]

[1]محمد الانصاري، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ،ص 21.
[2]محمد سبيلا، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية، الدار البيضاء، المركز الثقافي الغربي، ط1 1، 1992 ص22.
[3]المرجع نفسه ،ص 22.
[4]اسماعيل قباري، علم الاجتماع والايديولوجيات ص17 .

أما علماء الاجتماع فينظرون أي الأيديولوجيات على أنها « وقائع ينبغي دراسة ماضيها ونشأتها وتطورها ثم محاولة تقنين القوانين التي تتحكم في مسارها، على اعتبار أن الأيديولوجيات هي ظواهر خاضعة للشروط الاجتماعية بمعنى أنها " مشروطة اجتماعيا " وبالإضافة الى ذلك فإن تلك الأيديولوجيات انما تتباين وتتصارع، حين تتداخل في البناءات والتنظيمات فتؤدي الى الصراع بين الافكار حينما نعتبر الافكار كأسلحة وننظر اليها من خلال التحامها الأيديولوجي، الا أنها تقوم في نفس الوقت ببعض الوظائف الاجتماعية [1]».

ولقد استخدم " مصطلح الأيديولوجيا " كسلاح سياسي أي كأداة لإدانة أو انتقاد مجموعات الافكار أو انساق العقائد الخاصة بالخصوم، ولم يحدث الاستخدام الواسع لمفهوم محايد وموضوعي ظاهريا للأيديولوجيا حتى النصف الثاني من القرن العشرين [2]

وحتى حينئذ استمرت الخلافات بصدد الدور الاجتماعي والدلالة السياسية للأيديولوجيا. وضمن المعاني التي ارتبطت بالأيديولوجيا التالية :

- نسق عقيدي سياسي .
- مجموعة من الأفكار السياسية ذات التوجه الحركي.
- أفكار الطبقة الحاكمة .
- رؤية كونية لجماعة اجتماعية أو طبقة اجتماعية معينة [3].
- أفكار سياسية تجسد أو تبين المصالح الاجتماعية أو الطبقية.
- أفكار تسكن الفرد داخل سياق اجتماعي وتولد احساسا بالانتماء الجماعي .
- مجموعة من الافكار المصرح بها رسميا وتستخدم لاضفاء الشرعية على نظام سياسي ما.
- مذهب سياسي شامل يدعي احتكار الحقيقة.

[1] المرجع نفسه ص 17-18
[2] اندرو هيود، مدخل الى الايديولوجيا السياسية ص : 14
[3]) المرجع نفسه ص14

- مجموعة مجردة ومنظمة بدرجة عالية من الافكار السياسية.[1]

3) تعريف لويس التوسير للأيديولوجيا:

عرف ألتوسير الأيديولوجيا « بأنها نظام من التخيلات، الأساطير، الافكار، التصورات ... التي تملك وجودا ودورا تاريخيا داخل المجتمع. وهي تتميز عن العلم من خلال تفوق وظيفة الممارسة الاجتماعية فيها على الوظيفة المعرفية [2]». وبالتالي فهي حسب ألتوسير تشكل جزءا لا يتجزأ من هذا الكل الاجتماعي ... وهي تمثل النفس التي لا تستطيع المجتمعات الانسانية الاستغناء عنها في حياتها التاريخية ومنه فالأيديولوجيا على حد تعبير ألتوسير ليست شذوذا أو شيئا زائدا عرضيا في التاريخ، انها بنية جوهرية أساسية بالنسبة للحياة التاريخية للمجتمعات، وان وجودها والاعتراف بضرورتها هما وحدهما اللذان يسمحان بالتأثير على الايديولوجية وجعلها وسيلة واعية فعالة في التاريخ[3]

ولقد عمل التوسير على التمييز بين الأيديولوجيا الكلية والأيديولوجيا الجزئية، فالأولى أقرب ما تكون الى الثقافة، أي الاطار الاعتقادي أو الفكري العام المؤطر للمجتمع. أما الثانية فتعني الأيديولوجيا الطبقية أو الجزئية

العاملة في المجال السياسي والثقافي. فالمفهوم العام للأيديولوجيا بوصفها ثقافة يماثل ما يدعوه دوركايم باسم (الوعي الجماعي)[4].

ويعتبر ألتوسير بأن الأيديولوجيا هي الطريقة المتخيلة التي يزاول فيها الناس تجربة حياتهم الواقعيةعلى حد تعبير"ديفيد هوكس"[5].

أما إذا أردنا تعريف المصطلح بصورة علميةفيمكن أن نتطرق الى محاولة مانهايم، حيث كان له الفضل في تقديم المصطلح بصورة أكثر علمية[6] فهذا ما صرح به عبد الله العروي في كتابه "مفهوم

---

[1]- المرجع نفسه، ص15.
[2]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ص 26.
[3]- محمد سبيلا الايديولوجيا (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة) ص9.
[4]- محمد سبيلا، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية ص : 186
[5]- ديفيد هوكس، الايديولوجيا، تر: ابراهيم فتحي، المجلس الاعلى للثقافة د ب ، د (ط) 2000، ص 102.
[6]- عبد الرحمن خليفة، ايديولوجية الصراع السياسي ص 107.

الأيديولوجيا" إذ يرى بأن « الباحث الذي استخرج من الاجتماعيات الالمانية "نظرية علمية في السياسة" اعتمادا على مفهوم الأيديولوجيا هو كارل مانهايم، الذي جعل من الأيديولوجيا المفهوم المحوري في علم السياسة واجتماعيات الثقافة وعرفها بأنها"التفكير الذي يهدف الى استمرار الحاضر ونفي بذور التغيير الموجودة فيه" [1]

أما الدكتور (أحمد رشوان) فقد أورد في كتابه "الأيديولوجيا والمجتمع" مجموعة من التعريفات التي قدمها مانهايم لمصطلح "الأيديولوجيا" إذ يقول:« وعرف كارل مانهايم (1893-1947) الأيديولوجيا بأنها البنية الفكرية للعصر والمرتبطة بمصالح ورغبات الفئات المحافظة في المجتمع والتي لها مصلحة في الدفاع عن الوضع القائم. وتعني أيضا مجمل الأفكار الخاصة بطبقة أو فئة اجتماعية أو شعب معين...، وهي كذلك مجموعة من التصورات والتعبير سواء تلك التي اعتمدت على وقائع معيارية أو التي تستهدف تفسير الظواهر الاجتماعية المعقدة بهدف تسهيل الاختيار السياسي والاجتماعي للأشخاص والفئات ».[2]

ولقد فرق "مانهايم" بين معنيين للأيديولوجيا وهما:

– المعنى الخاص أو الجزئي: والذي يتراوح بين الكذب الوجداني الشعوري والخداع النفسي، وهو ذو طبيعة سيكولوجية بمعنى أن الأيديولوجيا في معناها الخاص تتعلق بمفهوم الأفراد وتبريراتهم للمواقف التي تهدد مصالحهم الخاصة.[3]

– المعنى الكلي الشامل للأيديولوجيا: وذلك حين نشير الى أيديولوجية عصر من العصور أو حقبة تاريخية كاملة أو فئة اجتماعية واضحة المعالم والسمات[4]ما هو الحال لنمط التفكير السائد لدى البرجوازية أو البروليتاريا (الطبقة العاملة).

[1] -عبد الله العروي مفهوم الايديولوجيا ،ص 45-46-47.
[2]- أحمد رشوان الايديولوجيا والمجتمع، ص 07.
[3]- عبد الرحمان خليفة، ايديولوجية الصراع السياسي، ص 107 .
[4]- المرجع نفسه ص، 107.

وتعتبر الأيديولوجيا من وجهة نظر "ألفن جولندر" نسقا فكريا علمانيا وهي نسق عقلاني والأيديولوجيا ليست مجرد نسق فكري نظري يمكنه الدفاع عن المعاني والافكار بشكل عقلاني فحسب، بل إنها ترتبط بالممارسة أيضا.[1]

ولقد قدم كل من "ديفيد جيري" و" جوليان جيري" عدد من التعريفات الخاصة بمفهوم الأيديولوجيا أوردها محمد سبيلا في كتابه (الأيديولوجيا نحو نظرة تكاملية) على النحو التالي:

1- أن الأيديولوجيا هي نسق من الافكار يحدد السلوك السياسي والاجتماعي.

2- أن الأيديولوجيا هي معرفة موسوعية شاملة قادرة على تحطيم التحيز وذات قدرة على الاستخدام في عملية الاصلاح الاجتماعي .

3- أن الأيديولوجيا بصورة أكثر تحديدا هي أي نسق من الافكار يبرر خضوع جماعة أو طبقة ما لجماعة أو طبقة أخرى مع اضفاء نوع من الشرعية على هذا الخضوع .[2]

ويعرف أندروهيود "الأيديولوجيا" على أنها:« مجموعة متماسكة بدرجة تزيد أو تنقص من الأفكار التي تضع أساسا للنشاط السياسي المنظم، سواء قصد به الحفاظ على نظام القوة القائم أو تعديله أو الاحاطة به»،[3]ولذلك تتمتع كل الأيديولوجيات بالملامح التالية:

أ – تقدم توصيفا للنظام القائم عادة ما يكون في شكل رؤية كونية.

ب- تقدم نموذجا للمستقبل المرجو أي رؤية عن " المجتمع الصالح ".

ج – تفسر كيف يجب ويمكن إحداث التغيير السياسي أي كيف يمكن الانطلاق من (أ) الى (ب)(أنظر الشكل 1-1)

[1]أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ص 08.
[2]محمد سبيلا، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية ،ص 40.
[3]أندروهيود، مدخل الى الايديولوجيات السياسية، ص 21.

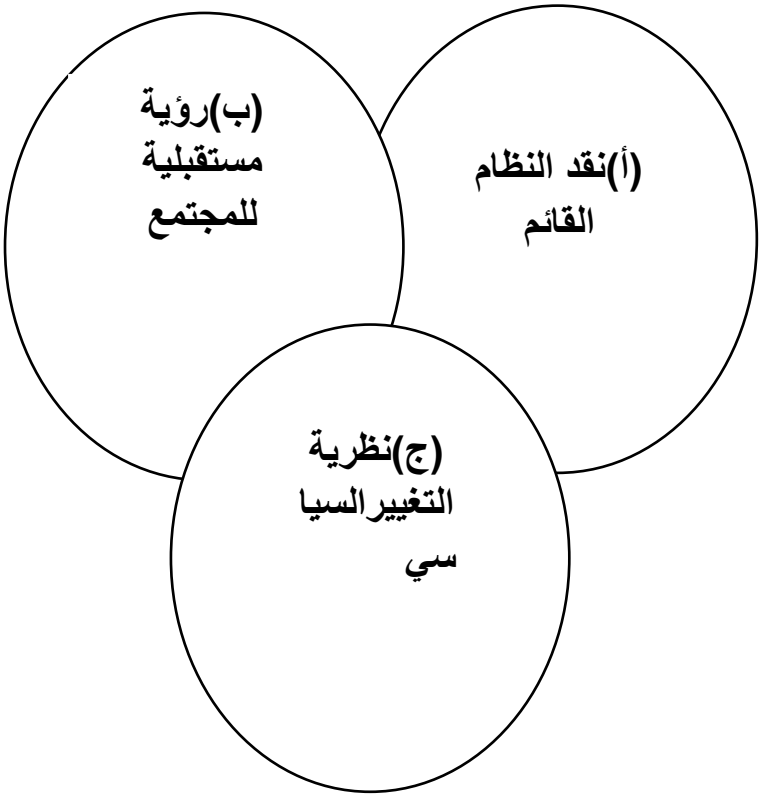

شكل 1-1 ملامح الايديولوجيا

وينظر "أندروهيود" الى التعريف الذي قدمه على أنه يتفق بالكامل مع الاستخدام العلمي – الاجتماعي للمصطلح.[1]

ومنذ ستينيات القرن العشرين حظي مصطلح " الأيديولوجيا " بتداول أوسع نطاقا رغم تكييفه وفقا لاحتياجات التحليل الاجتماعي والسياسي المتعارف عليه، وقد جعل هذا من الأيديولوجيا مفهوما محايدا وموضوعيا وجرى التخلص من المتاع السياسي الذي حمل به ذات مرة . فيعرف " مارتن سيجلر" (1976) مثلا " الأيديولوجيا" باعتبارها مجموعة من الافكار يضع من خلالها الناس ويفسرون ويبررون غايات ووسائل النشاط الاجتماعي بعينه وتعديله أو اقلاعه أو اعادة

[1] المرجع نفسه ص 22

بنائه[1] . وبهذا التعريف لم تعد الأيديولوجيا لا جيدة ولا سيئة، لا صادقة ولا كاذبة، لا منفتحة ولا مغلقة ولا محررة ولا اكراهية وإنما تستطيع أن تكون كل تلك الأشياء

وهناك من نظر الى الأيديولوجيا نظرة انتقاصية سلبية وأعطى لها دلالات سيئة وفي هذا الصدد يأتي تعريف " جاكوب باريون " حيث يقول: « تطلق الأيديولوجيا على تلك الآراء التي تدعي لنفسها احتكار الحقيقة فتدمغ بالخطأ ما عاداها من الآراء وتحاربها. وهكذا يتنازع الأيديولوجيون فيما بينهم ويحاربون بعضهم بعضا حتى يرى الواحد منهم من يخالفه الرأي والنظر خصمه وعدوه »[2]

وهناك من نظر الى الأيديولوجيا باعتبارها نمطا فكريا اعتقادي المصدر وذو طبيعة ايمانية مبدئية وقيمية، يلتحم فيه الالتزام القيمي بواقع الممارسة العملية وفي هذا الصدد يعرف " روكيتش" الأيديولوجيا بأنها« نظام من المعتقدات والاتجاهات ذات طبيعة دينية أو سياسية أو فلسفية » فالذي يتأسس بهذا القدر أو ذاك بمشاركة الآخرين وينشأ عن سلطة خارجية[3]

ذهب البعض الى تعريف الأيديولوجيا – تعريفا فلسفيا – مركزين على الجانب النظري الغائي واليوتوبي في الأيديولوجيا ومثال ذلك ما ذهب اليه " رايث ميلر" في تعريفه للأيديولوجيا حيث يقول: « هي ابداعات عقلية أخلاقية تتضمن مُثلا عليا وشعارات بسيطة ووقائع ملتبسة ودعاية فجة ونظريات مركبة »[4]

والأيديولوجيا كمقولة اجتماعية هي محاولة ربط الفكر بالواقع ووصل العقل بالحياة ودمج المنطق بالوجود الاجتماعي، للتوصل الى ما يسميه عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر " أندريه لاموش " بسوسيولوجية العقل Sociologie de la Raison. [5]

---

[1]- اندروهيود، المرجع نفسه ص 20
[2]- جاكوب باريون، ماهية الايديولوجية، تر:اسعد رزق ، الدار العلمية، بيروت ،1971ص 236
[3]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ص 20- 30
[4]- المرجع نفسه ص : 30
[5]- قباري اسماعيل، علم الاجتماع والايديولوجيات، ص 15-16 .

لقد ظهر هذا "المصطلح الاجتماعي" في الوقت الذي رفع فيه الفلاسفة من قيمة الشروط أو الظروف الاجتماعية، فاهتم الباحثون بربط الفكر بالتاريخ ودمج الماضي بالحاضر ووصل المقدمات السابقة بالواقع الراهن.[1]

كما تحدث الدكتور " زكي نجيب محمود" عن نشأة المصطلح وتطور معناه وقال : أن المصطلح كان يعني تعلم تكوين الافكار عند ظهوره لأول مرة في فرنسا، ثم تغير معناه فأصبح يطلق على مجموعة المعتقدات التي يثبتها مجتمع ما في نفوس أفراده لترسم لهم أفضل الطرق التي يسلكونها في حياتهم العملية والنظرية ليحققوا للمجتمع أهدافه[2].

ومن الاستعمالات الشائعة للأيديولوجيا هي أنها ذلك الاطار الفكري المنسق الذي يدور حول حياة الانسان ومجتمعه وثقافته، كما أنها تطلق لتعني الاشارة الى مجموعة المعتقدات والنظريات التي تحدد لنا مضامين الفكر البرجوازي وتستند الى التركيز على أنماط وأساليب السلوك السائد في حياة الطبقة البورجوازية وهذا هو السبب وهذا هو السبب الذي من أجله يشار الى "البورجوازيين النظريين" على أنهم من« الأيديولوجيين» على اعتبار أنهم من مؤيدي « الأيديولوجية البورجوازية » ودعاتها.[3]

والأيديولوجية بصفة عامة تستعمل لتعني أي مفهوم للكلمة التي بحكم طبيعتها تذهب الى أبعد ما يمكن للعلم الوضعي أن يثبت والتي تحمل نغمة عاطفية ذات اهتمام بالنسبة للفعل الاجتماعي فهي لا تحتاج الى أن تكون منطقيا، كاملة أو ثابتة أو متطابقة مع الحقيقة.[4]

والجدير بالذكر أن هناك تصورات وتعريفات متعددة للأيديولوجيا، وحاولنا هنا أن نأخذ التعريفات المهمة للأيديولوجيا حتى يمكن أن نستخلص التصور المتكامل لها بصورة قريبة من الموضوعية، إذ الموضوعية المطلقة في هذا المجال هدف بعيد المنال لتباين وجهات النظر واختلاف

[1]- المرجع نفسه، ص 15-16.
[2]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع، ص10.
[3]- قباري اسماعيل، علم الاجتماع والايديولوجيات، ص 28.
[4]- أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص 11 .

التصورات والمداخل، فضلا عن افتراق الغايات والوسائل وما تمثله من طرح سياسي أو اجتماعي أو غير ذلك.[1]

وعليه فقد كثر بشكل ملحوظ التعريفات حول ماهية الأيديولوجيالتنوع الاتجاهات، فظهرت تعريفات تركز على الجانب الفلسفي وأخرى تهتم بالمضامين الاجتماعية وثالثة بالأبعاد النفسية، كما تلونت نفس التعريفات[2]وفقا لعقيدة المفكرين ونظرتهم للحياة والانسان وموقعهم من القيم المادية أو الروحية، بحيث صار من المتعذر وربما من المستحيل أن يتفق المفكرون حول ماهية الأيديولوجية وما إذا كانت ضارة أو نافعة، والاسباب الداعية الى تغليب رأي أو موقف على آخر، فأفكارنا العامة ومفاهيمنا المتعددة حول ماهية الأيديولوجيا يناسب كل منها أيديولوجيتنا نحن بمعنى أننا نختلف لأننا ننظر الى الأيديولوجيامن وجهة أيديولوجية.[3]

[1]- محمد الانصاري، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ص 21.
[2] - عبد الرحمان خليفة، ايديولوجية الصراع السياسي، ص 105.
[3]- المرجع نفسه، ص 105-106.

المبحث الثاني: خصائص الأيديولوجيا

بعد ما تناولنا الأيديولوجيا بتعريفاتها المتعددة والمختلفة كان لا بد علينا هنا من دراسة محدداتها الاساسية والوقوف على خصائصها والسمات المميزة لها . لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه هنا والمتعلق بخصائص الأيديولوجيا هو أنه : إذا كانت هناك رؤا مختلفة ومتنوعة للأيديولوجيا، فهل معنى ذلك أنه لا توجد خصائص أو سمات مشتركة بين كافة التصورات حول الأيديولوجيا ؟

لا شك أن استقراء الدراسات والتصورات السابقة يطلعنا على نوع من النظرة التكاملية لخصائص الأيديولوجياالتي تتفق عليها الدراسات السابقة، ومن ثم يمكن لنا أن نحدد التالي :

1) يرى البعض أن الأيديولوجيا « تعني نظام من الافكار الاجتماعية، يرتبط بمصلحة جماعة معينة وبشكل أساسي لتحديد أو تبرير فاعليتها الاجتماعية في مرحلة تاريخية معينة »[1] ووفق هذا التصور يمكن القول أنعناصر المفهوم تنهض على:

(أ) نسق فكري اجتماعي.

(ب) الارتباط بمفهوم المصلحة.

(ج) الفاعلية الاجتماعية.

فهذه العناصر الثلاث تمثل السمات التي يمكن أن تتسم بها الأيديولوجيا.

2) نطرح الأيديولوجيات آليات عملية حول كيفية المحافظة على النظام الاجتماعي والسياسي القائم أو تغييره.

3) يعتبر عنصر التكوين الاجتماعي عنصرا هاما جدا، حيث يعمل على توظيف الأيديولوجيا لتأكيد كيانه وتحقيق مصالحه وأهدافه[2].

[1] محمد الانصاري، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ،ص 56.
[2] المرجع نفسه ،ص 56.

4)السعي الى الحركة والتغيير، فالأيديولوجيات تسعى الى اقامة علاقات اجتماعية وفقالتطلعها، فهي لا تريد تفسير [1]

العالم فحسب بل تغييره أيضا وفق ما ينبغي أنيكون، لأنها ليست رؤية للماضي بل رؤية للمستقبل.[2]

وهناك خصائص عديدة تميزت بها الأيديولوجيا نظرا لشساعة هذا المفهوم وتناوله جوانب عديدةوفي هذا الصدد نجد الدكتور أحمد رشوان في كتابه " الأيديولوجيا والمجتمع " يورد الخصائص التي يرى بعض العلماء أنه يمكن ادراكها من خلال الآتي :

5) لا تدخل نظريات العلوم الطبيعية دائما في اطار الأيديولوجيا على الرغم من كون الاستنتاجات الفلسفية التي يتوصل إليها العالم من خلال هذه الاكتشافات غالبا ما يتم الاستفادة منها لتقليل المطالب والشعارات الأيديولوجية وتركيب المفاهيم الأيديولوجية [3]»

بمعنى أن الأيديولوجيا تنفرد بميزات خاصة بها، بحيث لا يمكن للعلوم الاخرى أن تدخل فيها حتى وان كانت هذه العلوم بإمكانها أن تساعد على بناء مفاهيم أيديولوجية.

6) تصدر البنية الفوقية عن مجمل الحياة الاجتماعية في حين أن الأيديولوجيا تعبر عن حاجات ومصالح طبقة أو فئة من الفئات الاجتماعية وعليه تصدر الاولى تلقائيا ومعنويا من شروط الحياة الاجتماعية في لحظة من لحظات التطور الاجتماعي، بينما لا تنشأ الثانية الا لتعبر إراديا أو بصورة مقصودة عن حاجات فئة اجتماعية أو طبقة ذات ثقافة خاصة بها. [4]

أيضا من بين الخصائص التي يمكن أن ننسبها الى الأيديولوجيا والتي اتفق حولها الكثير من الباحثين ما يلي:

[1]- المرجع نفسه ،ص 56-57.
[2] - المرجع نفسه ،ص 57.
[3]- أحمد رشوان ،الايديولوجيا والمجتمع ،ص 81.
[4]- المرجع نفسه، ص 81.

7) الشمولية في التفسير: فالأيديولوجيا تسعى الى التفسير الشامل للمجتمع الانساني وقواه المحركة بغض النظر عن صحة أو خطأ هذا التفسير وذلك من خلال اعتبار الحقائق الخاصة، حقائق عامة[1]، لذا تنزع الى الشمول ويسعى الى توظيف كل الادوات الاخرى في المجتمع مثل (الدين، اللغة، الاخلاق، العادات، التقاليد والاسطورة .....الخ)[2]

8) التعبيئة وتحريك الجماهير : « ذلك أن القدرة الحقيقية لسلطة الأيديولوجيا لا تكمن في البرهان التجريبي أو المنطقي، ولكن في قدرتها على التحفز، لتأخذ مكانها في الواقع وتقديم أفضل الوعود، لذا تعتمد سلطة الأيديولوجيا

على القدرة على التحفيز والتعبئة من خلال التأثير على الافكار لتجسيد مواقف أيديولوجية معينة، فالصراع الأيديولوجيي ليس صراعا للأفكار بل هو صراع القوى المختلفة من أجل الحصول على السلطة [3] حيث تلعب الأيديولوجيا هنا دورا مهما اذ يمكنها أن تحقق النجاح بل والاستولاء على ما يريده أصحابهامن خلال التحفيز الذي هو من بين خصائصها.

9) أيضا من سمات الأيديولوجيا أنها قابلة للتغيير والتطور : فالأيديولوجيا تتطور ولكنها تقاوم التغيير الجذري والاساسي، " فماركس " هو الذي وضع أسس الأيديولوجيا الماركسية ولكن الآخرين مثل " لينين " وغيره قاموا بتفسيرها وأضافوا الى هذا التفسير، فالتغييرات في الأيديولوجيا تحدث ببطء شديد لأنها تعتمد نسبيا على هيكلها[4].

ولمزيد من توضيح هذه الخاصية نجد الدكتور "أحمد رشوان" يقول:« والأيديولوجيا شيء نسبي يتغير ويتعدل تبعا للظروف والأحوال من جيل الى جيل ومن بلد الى بلد على الرغم مما تبدو عليه من ثبات واستقرار..»[5]

[1]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ص 38.
[2]- محمد الانصاري ، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ص 57 – 58.
[3]- المرجع نفسه ،ص58.
[4]- وسيلة يعيش، مرجع سبق ذكره ، ص 39.
[5]- أحمد رشوان ، الايديولوجيا والمجتمع، ص 85.

10) التركيز على مناشدة العاطفة لا العقل : حيث تسعى الأيديولوجيا الى ممارسة تأثيرها عن طريق الشعارات ومخاطبة العواطف، وليس عن طريق الاسباب العقلانية، فالأيديولوجيا تضع نفسها فوق العلم، وتقدم حقائقها زاعمة بها أقصى درجات اليقين، ومؤكدة للناس أنها على أهمية بالغة بالنسبة لحياتهم العملية [1] وهذه الشعارات يتم التعبير عنها في مناسبات الاتصال بالجماهير وبتدخل المؤسسات العلمية والاحزاب السياسية .

11) ارتباط الأيديولوجيا بمفهوم الأزمة: إذ أن ميل الانسان الى الأيديولوجيا يعني أنه اضطهد تحت الظروف القائمة التي لا تشبع حاجته أو حتى تستطيع قيادة أعماله مثل هذه الظروف تجعل الفرد ساخطا على الحاضر خائفا من المستقبل، ومن ثم يتجه الى الأيديولوجيات المنبثقة التي تستعيد نشاطها، ويرى فيها صورة لحياة أفضل ولعل نماذج الثورات الكبرى في تاريخ البشرية خير مثال على ذلك مثل (الثورة الفرنسية، البلشفية...).[2]

12) التحيز والتعصب : بحيث ينظر الى المعتقدات الأيديولوجية على أنها من أكثر أنواع المعتقدات انحيازا لاشتمالها على الاحكام المسبقة، والتحيز الى جانب المصالح والمواقع الاجتماعية التي تسعى اليها، وفي هذا السياق يلاحظ أن[3]

الأيديولوجيات السائدة تنزع الى حجب الفوارق الاجتماعية واخفاء التناقضات وصرف الناس عن معرفة أوضاعهم والعمل على اظهار المجتمع على حالة من الوحدة والتماسك والاستقرار [4].

ولا يمكن أن تقف خصائص الأيديولوجيا عند هذا الحد وفقط، بل أنها تمتاز بعدة خصائص تميزها عن بقية العلوم، حيث أشار "جارستن" الى بعض الملامح التي تتميز بها الأيديولوجيا فهناك:

13) التعنت الأيديولوجي: وهو يتمثل في تطبيق النظرية التي لا تسمح بأية انحرافات عن المبادئ والمقولات الموضوعية بصورة مسبقة، وفي الايمان التعصبي بصحتها المطلقة وينتج عن ذلك الهجوم الدائم والشديد على الأيديولوجيا المضادة أي باختصار صراع أيديولوجي.[5]

وذهب البعض الآخر الى إعطاء الأيديولوجيا السمة الأكثر تميزا لها وهي:

---

[1]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ص 40.
[2]- محمد الانصاري، الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ص 58.
[3]- وسيلة يعيش، مرجع سبق ذكره، ص 40.
[4]- المرجع نفسه، ص 40 .
[5]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع، ص 85.

14) التعميم: إذ يرى "أ.ك.أوليدف" أن السمة التي تميز الأيديولوجيا كثيرا وهي التعميم الذي يدفع بحدودها حتى تبلغ مرتبة المبادئ الأساسية والشاملة التي تشكل منطلقا لسواها . من هنا تتميز الأيديولوجيا عن السيكولوجيا الاجتماعية بأنها نظام للأفكاروالآراء، وتعتبر جزءا من الصعيد النظري لانعكاس الواقع، فهي تكوين فكري يعكس الواقع في شكل نظريات وتعاليم مختلفة، وهي جزء من البنية الفوقية، ويخضع في تغييره وتطوره لقانونية الروابط المتبادلة بين القاعدة والبنية الفوقية.[1]

وحسب "ويلارد مور" فإن الخصائص الاساسية الواجب وجودها في الايديولوجيا لكي تدعى بالتالي ايديولوجيا هي:

1. يجب أن تكون لها سلطة على الادراك .
2. يجب أن تكون قادرة على توجيه عمليات التقييم لدى المرء
3. يجب أن توفر التوجيه تجاه العمل
4. يجب ان تكون متماسكة منطقيا [2]

ولقد طرح الدكتور "فالح مهدي" خصائص للأيديولوجيا وأصحاب الايديولوجيات كما يلي:

أولا: أنه يستمد شرعيته من ماض يضفي عليه ستار القداسة في الحقل الديني أو العلمي والحتمي في المجال السياسي كما هو الحال مع الفاشية والستالينية.

ثانيا: النظام الايديولوجي نظام شمولي يقوم برسم معالم الحياة العامة والخاصة ويتدخل في أمور تعتبر من صميم خصوصيات الفرد فيقود الجماعات عن طريق غسيل الدماغ والتلاعب المذهبي .

ثالثا: الايديولوجي خارج التاريخ إنه يعيش اللحظة الراهنة دون أن يعي ذلك.

[1]- أحمد رشوان، المرجع نفسه، ص 86.
[2]- موقع الكتروني :https://ar.wikipedia.org/wiki/2016/04/24/13:46

رابعا: تقوم الايديولوجيا على وعي مزيف (الوعي المزيف ينمو من رفضه للواقع)[1].

خامسا: ترفض الايديولوجيا الديالكتيك، ذلك أن الايديولوجيا قائمة على نمط فكري يقيني، يرفض الشك والاحتمال والحوار.

سادسا: الايديولوجيا تعبير غير عقلاني قد يؤدي الى الهذيان ينطلق من اللاوعي المريض، حيث يقوم ببناء الزمن وفق متطلباته وليس اعتمادا على معايير موضوعية فيعتبر الرجوع الى الوراء والانطلاق منتقطة الصفر أمرا ممكنا.

سابعا: يؤدي الوعي الايديولوجي الى شيزوفيرينيا (انفصام الشخصية) وإلى ...الذات المنقطعة عن العالم الخارجي والعالم الحسي.[2]

هذه مجمل الخصائص التي حاولنا تقديمها لكي تتضح لنا الرؤية جيدا حول ميزات وسمات الأيديولوجيا، وقد يبدو من المناسب الآن وبعد عرضنا لهذه الخصائص أن نتطرق الى وظائفها ذلك أن الوظيفة ترتبط دوما بالخصائص وأن ارتباطهما معا يشكل بعدا أساسيا في فهم طبيعة النسق المعرفي الذي سوف نعرضه لاحقا .

[1] موقع الكتروني http://bookoflife01.blogspot.com/2016/02/13:54
[2]) موقع الكتروني http://bookoflife01.blogspot.com/2016/02/13:54

المبحث الثالث: وظائف الأيديولوجيا

إن الأيديولوجيا كما ينظر اليها دائما في الانساق المعرفية المختلفة لا بد أن تتمتع بمجموعة من السمات الأساسية أو الخصائص التي تكتسبها، ومن الطبيعي إذن أن ترتبط الخصائص والمفاهيم المختلفة بوظائف مختلفة أيضا وهذه الوظائف تتكامل معا لتشكل مع الخصائص قوام النظرة الفلسفية والسياسية للأيديولوجيا، وتلك مسألة في غاية الأهمية بالنسبة للأيديولوجيا التي ارتبطت النظرة اليها على مر العصور بمجموعة من الوظائف.

وتأسيسا على ما سبق يمكننا القول أن الأيديولوجيا تقوم بعدة وظائف لأعضاء المجتمع وللطبقة الاجتماعية وللفرد وتتمثل في الآتي:

1) الوظيفة المعرفية:

يعتبر العنصر المعرفي من أهم وظائف الايديولوجيا حيث تسهم الايديولوجيا في إثراء الجانب المعرفي من خلال الجوانب التالية:[1]

أ. تشكيل منظومة من الأفكار يدرك الفرد من خلالها العالم فهما وتفسيرا.

ب. المساعدة على رؤية الموضوعات السياسية والاجتماعية وفهمها على نحو أكثروضوحا.

ج. تعتبر مرشدا أساسيا يهتدي به الفرد لتحقيق ما يصبو اليه من أهداف.

د. تحديد حقوق المجتمع والتزاماته، وكذا تحديد أهداف المجتمع وسلطاته وحدودها وتنظيم الحياة وفق هذا الاطار.[2]

2) الوظيفة السياسية:

على المستوى السياسي تختلف وظيفة الأيديولوجيا قبل تسلم السلطة عنها بعد تسلمها، ففي المرحلة الأولى تعمل الأيديولوجيا على نقد على نقد السلطة القائمة للأيديولوجيا المنافسة بغرض إظهار

[1]- محمد الانصاري الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة ص 60.
[2]- المرجع نفسه ص 61.

تناقضاتها وعيوبها وتعبئة [1]الرأي العام لإزاحتها والحلول محلها، اما عن طريق الانتخابات أو بالقوة عبر الانقلابات السياسية، وما ان يتحقق لها ذلك حتى تبدأ وظيفة المرحلة الثانية والتي من أهم مظاهرها الدفاع عن السلطة الجديدة.[2]

وفي هذه الوظيفة يمكننا أن نرى بأن الأيديولوجيا المواجهة للأيديولوجيا السائدة، نستطيع أن نستبدل مسلمات بمسلمات أخرى تؤكد امكانية الانسان على القيام بتعبير بيئته وعالمه وتحرضه على ذلك .

3) الوظيفة الأخلاقية:

يرى الدكتور "حسين عبد الحميد أحمد رشوان" بأن الأيديولوجيا « ليست مجموعة من الأفكار فحسب بل هي نسق من الافكار توجه أفعالنا ويقاس على أساسها سلوك الفردوالجماعة، فهي تصوغ وتشكل المواقف الاخلاقية لأفراد المجتمع لصالح مؤسسة أو هيئة أو طبقة معينة سواء كانت محافظة أو ثورية ».[3]

وبالإضافة الى هذه الوظائف نجد أيضا:

4) الوظيفة التفسيرية:

تقوم الأيديولوجيا بتزويد المفكر بشبكة من المفاهيم يمكن عن طريقها أن يؤسس نظاما للحياة السياسية، ومن ثم رؤية الموضوعات السياسية والاجتماعية على نحو أكثر وضوحا ومن هنا يقال أن الأيديولوجياتمثل تحديدا مبسطا لموقف معقد نسبيا.[4]

5) تحقيق الهدف:

اذ تؤدي الأيديولوجيا وظيفة التوحيد والدمج واعطاء احساس بالهوية لأولئك الذين يشتركون في اعتناقها وتأكيدها من خلال تحديد الأدوار، وتأكيد الشخصية من خلال هذه الادوار،

[1]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيات، ص 44.
[2]- المرجع نفسه، ص 44.
[3]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع، ص 97.
[4]- محمد الانصاري الايديولوجيا واليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة، ص 61.

ومن ناحية أخرى تمر المجتمعات الحديثة في بداياتها بمجموعة من التوترات تساعد الأيديولوجيا غالبا في التقليل من آثارها، فالأيديولوجيا بأفكارها العامة المشتركة تدمج الافراد في التكوين أو الجماعة أو الحزب لتحديد الاشياء المقبولة والمهمات التي يجب تحقيقها[1]

ذلك أن الأيديولوجيا ليست فقط هي التي يرى بها أو من خلالها الانسان عالمه ولكنها أيضا مرات يرى فيها، ونافذة من خلالها يراه الآخرون [2].

واذا ما أردنا أن نتكلم عن وظائفها بإيجاز فيمكننا التطرق الى تلك الوظائف التي تكلم عنها " بخلر" والتي أوردها محمد سبيلا في كتابه "الأيديولوجيا" وتكلمت عنها أيضا وسيلة يعيش في مذكرتها " تدريس علم الاجتماع بين العلوم والأيديولوجيا، حيث اقتصر "سبيلا" على خمس وظائف ومنها الآتي:

الأولى وظيفة التجمع: ذلك أن السياسة بطبيعتها تهتم بحفظ الأمن الخارجي، وضمان التلاحم الداخلي، فالحياة الانسانية لا تخلو من الصراع وحيث أن الصراع في السياسة لا يكون بشكل فردي فان الأيديولوجيا تقوم بوظيفة خلق تعارف بين الاصدقاء وتعيين الاعداد بحيث تدفع الفرد الى الذوبان في المجموعة الحامية، وتحثه على استخدام العنف ضد كل من لا ينتمي الى هذه المجموعة .[3]

الثانية وظيفة التبرير: حيث تتوجه الأيديولوجيابالتبرير الى المتعاطفين الذين هم في حاجة الى الاقتناع بصدق ما يؤمنون به وبخطأ معتقدات الخصوم أو الاعداء، كما تتوجه بالتبرير الى الانصار المحتملين ما دام أن كل الفاعلين السياسيين سيستقطبون الانصار داخل نفس الوسط الاجتماعي لذلك يجب اعطاء أدلة مقنعة للأنصار تجعلهم يختارون هذا المعسكر الأيديولوجي دون الاخر[4]بمعنى أن الأيديولوجيا هنا وظيفتها الاقناع والدفاع عن وجهة نظرها.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 62-63.
[2]- المرجع نفسه ص 63.
[3]- محمد سبيلا، الايديولوجيا (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة) ص 52.
[4]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيات ،ص 42.

الثالثة وظيفة الاخفاء : والذي يعتبر المهمة الرئيسية الأساسية المعروفة للأيديولوجيا، حيث تقوم بإخفاء مصالح أو عواطف تجاه الأنا أو اتجاه الآخر، فالمقولة التي تؤكد بأن الدفاع عن الحرية أو الاعلاء من شأنها، ليست الا ستارا تخفي وراءه البورجوازية استغلالها للشعب [1]» حيث يحاول الفاعل السياسي هنا أن يخفي عواطفه عن نفسه لكي لا تسيطر العواطف عليه.

الرابعة وظيفة التعيين: يجد الفاعل السياسي نفسه أمام عدة اختيارات، ومن حيث أنه ليس هناك امكانية اقامة تفاصيل، بين القيم بشكل عقلاني، فالأيديولوجيا تسمح بتعيين قيمة أو عدة قيم على أساسها يقوم تنظيم معين [2]

للمجتمع، كالقول أن النظام البرلماني يحقق الحرية، التأميم يحقق الفاعليةوالعدالة .... وتزداد أهمية هذه الوظيفة حين تتضاعف الاختيارات وتمس قطاعات جديدة من الحياة الاجتماعية[3].

أما الوظيفة الأخيرة فهي تجويز أو اجازة الادراك : ذلك أن الفاعل السياسي محاولة منه لإيجاد السبل وسط عدم اليقين حيث المعطيات اليقينية دائما نادرة، ويقوم بتبسيط أقصى للمعطيات، وهو في حاجة بالتالي الى ادراك الواقع الاجتماعي كواقع حقيقي مصفى وجامد[4] .

وقد بسطت "وسيلة يعيش" هذه الوظيفة التي ذكرها (بخلر) بقولها « هذا الادراك الواقعي يمكنه من تقييم آثار أعماله ومن ثم التحكم في المستقبل وفي الطرق المؤدية اليه وبدون هذا الادراك المستمد من الأيديولوجيا فانه لن يكون الا لعبة للصدفة والقدر، فهي تزود الافراد والجماعات بخريطة فكرية توضح لهم كيف تدور آلة المجتمع وتزودهم برؤية للحياة وللعالم [5]»- ويرى البعض أن للأيديولوجيا وظائف " ظاهرة " ووظائف "كامنة" في المجتمع وتتمثل (الوظائف الظاهرة) في النتائج الموضوعية والتي تساهم في تكيف النسق وهو التكيف الذي يسعى لتحقيقه المشتركون فيه. أما

[1]محمد سبيلا، ، الايديولوجيا (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة) ص 53
[2]وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ص 42
[3] مرجع نفسه ص 42
[4]محمد سبيلا، مرجع سبق ذكره ص : 54
[5]وسيلة يعيش، مرجع سبق ذكره ص : 42-43

(الوظائف الكامنة) فهي الوظائف غير المتصورة أو غير المعروفة ويعتبر هذا التمييز هاما لأي تفسير وظيفي منهجي للأيديولوجيا [1]

أما " كلوسمللر" فقد لخص وظائف الأيديولوجيا في النقاط التالية :

وظيفة الخداع : طبقا للتحديد (المركسي) ينقسم المجتمع الى طبقات اجتماعية كل على حدى، وقدفهم"ماركس"الأيديولوجيات على أنها انساق فكرية مضللة تقوم أساسا على الخداع باستثناء أيديولوجية البروليتاريا[2].

وظيفة التعبئة: تقوم الأيديولوجيا بتعبئة المعتقدات السياسية في وضع يتمسك به مجموعة أو طبقة فكل الأيديولوجيات تعكس مصلحة طبقة أو جماعة محددة بحيث تختلف في درجات تضليل الواقع السياسي، تسعى لأيديولوجيات المسيطرة لتعبئة الجماهير في اتجاه مساند للنظام السياسي ومؤسساته. أما الأيديولوجيات المضادة فتعمل على تعبئة مجموعات أو طبقات تخالف وتعارض النظام السياسي[3].

وظيفة التبرير : تسعى الأيديولوجيات التي تعتنقها الطبقات الحاكمة والمسيطرة في المجتمع الى تبرير الوضع الراهن والحفاظ عليه، أما الأيديولوجيات التي تسعى الى الاصلاح والتغيير في العلاقات المجتمعية والسياسية، فيكون هدفها تبرير ضرورة اعادة توزيع علاقات السلطة والقوى السياسية من جديد.[4]

الوظيفة السياسية: تقوم الايديولوجية بالوظيفة السياسية في المعتقدات الجمعية . وقد تأثرت كل تحليلات الايديولوجيين في القرن العشرين بنقد "ماركس " للايديولوجيات، حيث قاوم كل من " ماركس " و" انجلز " الوعي الانساني الذي يتشكل بالظروف المادية، ويعد تفكير الانسان ومعتقداته

[1]- أحمد رشوان، الايديولوجيا والمجتمع ص 97.
[2]- وسيلة يعيش، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا ، ص 43.
[3]- المرجع نفسه ص 43.
[4] - المرجع نفسه 43.

وقابليته للايديولوجية بمثابة عمليات مستقلة عن وضع الفرد في العمليات الانتاجية، فالحياة غير محددة بالوعي لكن الوعي مرتبط بالحياة.[1]

أما "دانف هون" DanfHan فقد حدد وظائف الايديولوجية في خمس وظائف أساسية وهي:

1) وظيفة التشيؤ: حيث أن معظم انجازات الادوار التي تؤديها الايديولوجية متشيئة، وعمليات من صنع الانسان متضمنة في أفكار معينة، تعتمد على المنتجين والظروف المادية لها .

2) وظيفة الرموز: حيث تحل الرموز محل مضمون الايديولوجية، وحينئذ تساعد الرموز على قيام الوحدة بين الناس، واستخدامها يقوي العقيدة وتحيي ملايين الناس دون أي معرفة عن الرموز التي تقدمها [2].

أما الوظيفة الثالثة للايديولوجيا فتتمثل في:

3) وظيفة الايضاح أو التبسيط : ويمكن أن يكون هذا التبسيط نافعا أو ضارا لكن دائما يكون ضروريا، فالتبسيط هو صفة ضرورية لأي توجيه عقلاني في السلوك.

وتتمثل الوظيفة الرابعة والهامة للايديولوجية في:

4) وظيفة تزويد الفرد بالادوار:فالفرد يقوم بعمل ادوار لكي يلعبها في المجتمع، والايديولوجية تخلق بعض الادوار، والتشريعات من أجل نجاح أو فشل لأي دور يختاره الانسان.[3]

وأخيرا تأتي الوظيفة الخامسة وهي:

5) وظيفة الخداع: فالايديولوجية هي خداع للنفس، فمن طبيعتها أنها تخدع ليس فقط الآخرين، لكن تخدع.

[1]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص 185 .
[2]- مرجع نفسه، ص 183.
[3]- مرجع نفسه، ص 184.

أيضا من يستخدمها، وهذا الخداع ربما يكون "مفيدا" عندما يوجد الدور الذي تلعبه الايديولوجية في المجتمع، أو تضع أدوارا أكثر قبولا، ويكون الخداع "ضارا" عندما تقود الايديولوجية الى تحليلات خاطئة ترتبط بقضية معينة.

ولقد انتهى "دانف هون" الى القول بأن الدور الأساسي الذي تلعبه الايديولوجية في حياة الفرد هو: التشيؤ، والالهام والتبسيط، وتزوده بالأدوار والخداع النفسي .وبالرغم من أن هذه الوظائف تكون ضرورية، الا أن مجملها يؤثر ربما في تدمير الذات والمجتمع إذا خدعنا أنفسنا وسمعنا ما يتلوه الايديولوجيون.[1]

ويحدد "هابر ماس" وظائف الايديولوجية فيميز بين وظيفتين مختلفتين:

– الاولى هدم وازاحة.

– الثانية دعم واحلال وتجديد.

وإذا أخذنا مرحلة التحول التاريخي من النظام الاقطاعي الى النظام الرأسمالي، نجد أن الايديولوجية الرأسمالية قد قامت بالدورين معا : هدم ايديولوجيا النظام الاقطاعي وبلورة نسق ايديولوجيا جديد من الحرية والمساواة، ويعلق " هابر ماس " أهمية خاصة على نقد الايديولوجية، ذلك أن التحليل الناقد الذي يقوم على مستوى المجتمع، ويقوم النقد الايديولوجي بكشف ما يخبؤه النظام السائد من خلال الهيمنة الايديولوجية مما ينطوي عليه النظام من استغلال وقهر، ويقوم النقد الايديولوجية بتبديد الاوهام والدعاوي الايديولوجية الزائفة.[2]

أما "بول ريكور" فلقد جعل للايديولوجية ثلاث وظائف:

1) وظيفة التشويه أو التزييف: يقول "ريكور" عن هذه الوظيف:« ...منذ ذلك الحين أصبحت الوظيفى الأولى للأيديولوجيا هي انتاج صورة معكوسة عن الواقع [...] ستعني الايديولوجيا

[1] المرجع نفسه، ص 184 - 185
[2] موقع الكتروني http://bookofrife01.blogspot.com.2016/04/24.13:54

اذا العملية الفكرية العامة التي بواسطتها تعمل التمثلات الخيالية على تشويه حياة الناس الواقعية »[1]

هذا الوجه الاظلالي الملازم بل المحايف للوظيفتين، هو ما يدفع بعملية الخداع الى ما لا نهاية، مما يجعل الايديولوجيا ذاتها سلطة لا نقدية وذلك حقا ما يجعلها منظومة معلقة وجامدة.[2]

أما الوظيفة الثانية لهذا المفهوم فلا تظهر فيه الايديولوجية كظاهرة تشويهية وتزييفية فقط، بل أكثر من ذلك إنها:

2) وظيفة التبرير :ترتبط هذه الوظيفة عندما تتحول أفكار الطبقة المسيطرة في المجتمع الى أفكار مهيمنة تدعي الكونية والشمولية.

3) وظيفة الادماج : حيث تمثل الايديولوجيا في هذه الوظيفة ذلك الوسيط الرمزي المسؤول عن وظيفة دمج الجماعة في هويتها التاريخية وشرعنة وجودها على وفق هذه الصورة وذلك من خلال عملية استحضار الحدث المؤسس واستصحاب فعاليته ما يؤدي الى وصل الذاكرة الجماعية بالحدث المستعاد تأويلا [3].

وبهذا يكون " ريكور" قد جعل للايديولوجيا وظيفة ادماجية وتبريرية وتزييفية.

وهناك وظائف أخرى أضافها الدكتور " جمال محمد أبو شنب " في كتابه (أصول الاجتماع السياسي) وصنفها الى أربعة وظائف رئيسية وهامة وهي على الوجه التالي:

أ- الوظائف السهلة : حيث يمكن للايديولوجيات أن تعمل كآليات لإطلاق المشاعر وفق أشكالها المختلفة.

ب- وظائف التدعيم الاخلاقي : يمكن أن يكون للايديولوجيات أن تعمل باعتبارها احدى الاساليب الرئيسية للمجتمع، كما تعمل باعتبارها نوعا من أنواع التكامل من خلال دفاعاتها

[1] موقع الكتروني https://www.google.dz2016/03/14.21:30
[2] هاني ادريس، خرائط ايديولوجية ممزقة : الايديولوجية وصراع الايديولوجيات العربية والاسلامية المعاصرة. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2006، ص 55 .
[3] المرجع نفسه، ص 55

اذا كان هناك تهديد للاخلاق[1]. فعندما يكون من المستحيل أو من الصعب انكار بعض الانظمة الواقعية، فان هذه الايديولوجيات قد تعمل على الحفاظ على الاخلاق من خلال اعادة تقييم الخبرة المشتركة.

جـ- وظائف تعزيز التضامن : فمن المعتاد أن تعمل الايديولوجيات على تحقيق الوحدة على الاقل بين الملتزمين ويتضمن ذلك ممارسة التقاليد المبجلة، أو اعادة قص الاساطير الشعبية، وقد اشار الى هذه الجزئية " إميل دور كايم" فيما يتعلق بأمر الدين [2].

د- الوظائف الدفاعية : يمكن القول بأن الايديولوجيات تلعب أدوارها المفروضة عليها من خلال وظيفتين أساسيتين " أولهما" بحث الجماهير على ادراك طبيعة الامور المتعلقة بها .و" ثانيهما " أنها تستقطب تفاعلهم مع هذه الامور.[3]

[1]- جمال محمد أبو شنب، أصول الاجتماع السياسي (النشأة – القضايا – التطبيقات)، دار المعرفة الجامعية للنشر، الاسكندرية – مصر، دط، 2011، ص 216.
[2]- المرجع نفسه، ص 217-218.
[3]- المرجع نفسه، ص 219 .

الفصل الثاني

الابستيمولوجيا العلمية

لدى كارل مانهايم

المبحث الأول: مانهايم وتأسيس علم الاجتماع المعرفي

المبحث الثاني : مانهايم ونظرية النسبية في المعرفة

توطئة:

جاءت البدايات الأولى لمشكلة «المعرفة» بظهور الفلسفات اليونانية، ولكنها أصبحت ملحة على الفكر الحديث بعد أن سيطرت مشكلة الوجود على الفلسفات القديمة. وإذا كان موضوع «المعرفة» في الفلسفات القديمة هو الكون والوجود والعالم من حيث بعض المبادئ الأولى والعلل الرئيسية، فقد انصب اهتمام الفلسفات الحديثة على الاهتمام بالعالم من ناحية العقل، والنظر إلى الوجود من زاوية "الأنا" أو "النفس" أو "الشعور"، وبذلك تعددت وجهات النظر الفلسفية التي تناولت مشكلة المعرفة حيث اختلفت المدرسة العقلية في رؤيتها عن المدرسة التجريبية، وسلك الاتجاه النقدي مسلكا آخر في تفسير نشوء المعرفة، وكذلك اختلفت المدارس الفلسفية بشأن حدود المعرفة ومناهجها وأشكالها.

وعلى النقيض مما ذهب إليه الفلاسفة في تفسيرهم لنشوء المعرفة، ذهب علماء الاجتماع في دراستهم لها بأن المجتمع هو مصدر المعرفة، ونجد من بينهم"كارلمانهايم " الذي نسب المعرفة إلى الواقع الاجتماعي.

وعليه، فإن هذا الفصل سيكون مخصصاً لنظرية مانهايم في المعرفة بوجه عام ونظريته في علم اجتماع المعرفة بوجه خاص.

المبحث الأول: مانهايم وتاسيس علم اجتماع المعرفة

المطلب الاول: نظرية كارل مانهايم في المعرفة

تعد مشكلة المعرفة مسألة شائكة، حيث اختلف الكثير حولها باختلاف توجهاتهم ومذاهبهم، فالمعرفة كما قلنا سابقا لها جذور قديمة في الفلسفات اليونانية حيث تراوحت مسألة المعرفة بين من يرجعها إلى العقل (كديكارت) مثلا، الذي يذهب إلى أن العقل وحده هو الذي يتدخل في أحكام المعرفة. وعلى النقيض مما ذهبت إليه التصورية الديكارتية، ذهب (التجريبيون) إلى أن الواضح المتميز لا يتحقق إلا في التجربة الحسية. فالتجربة هي المصدر الوحيد للحقيقة، بمعنى أن الحس والتجربة هما المصدران الأساسيان اللذان تتدفق منهما المعرفة.[1]

وبينما يوجد موقفان متعارضان بشأن المعرفة عند العقليين والتجريبين، نجد أن (كانط) لم يقتنع بهذين الاتجاهين المتناقضين في البحث عن أصل المعرفة، وقد ذهب في فلسفته النقدية إلى إغفال قيمة الموجودات والمعقولات ولم يقم وزنا لمسألة الفكر والوجود، وإنما ركزا اهتمامه على المعرفة العلمية[2] ولذلك تصبح الإمدادات الحسية عند "كانط" هي مادة للمعرفة، ويرى أيضا ان كل معارفنا تبدأ بالإحساسات، تلك التي تمر بـ «الفهم» ثم تكتمل في العقل الخالص، حيث يقوم«الفهم» بأفعال أساسية مثل « التصور» و«الحكم» و«الاستدلال»، ويعبر هذا عن أهمية الفكر في بناء المعرفة[3]

وبعد كانط جاءت مدرسة جديدة، حيث تناولت مشكلة "المعرفة" بمنظور مغاير، وقامت بتحدي التوجه الكانطيالذي كان مسيطر على الفلسفة الألمانية الأكاديمية، وسميت هذه المدرسة "بالمدرسة الفينومينولوجية" والتي أسسها (إموندهوسرل) حيث حاول "هوسرل" أن يقلب ما جاءت

[1]- إسماعيل قباري، علم الاجتماع والفلسفة – نظرية المعرفة، دار الطلبة العرب، بيروت، دون (ط)، 1968، ص: 100-101.
[2] - المرجع نفسه، ص:104.
[3] - المرجع نفسه، ص:105.

به الثورة الكانطية رأسا على عقب، بموقفه الحدسي ومنهجية الفينومينولوجي في التوصل المباشر إلى "إدراك الماهيات" والقبض على "جوهر الأشياء"[1]

ومن ثم فإن فينوميتولوجية هوسرل فتحت طريقا إلى المعرفة الجوهرية، دون الالتفات إلى جوانبه السطحية، أو إلى أعراضه الحسية الظاهرة، من حيث ان المعرفة الحقيقية، هي إدراكنا لذلك الجوهر حين يكشف عن ذاته كلية.[2]

وهكذا نجد تعدد وجهات النظر الفلسفية التي تناولت مشكلة "المعرفة" حيث اختلفت المدرسة العقلية في رؤيتها عن المدرسة التجريبية، وسلك الاتجاه النقدي مسلكا آخر في تفسير نشوء المعرفة، وكذلك اختلفت المدارس الفلسفية بشأن حدود المعرفة ومناهجها وأشكالها[3]

وعلى النقيض مما ذهب إليه الفلاسفة في تفسيرهم لنشوء المعرفة، ذهب علماء الاجتماع في دراستهم لها بأن المجتمع هو مصدر المعرفة، ويستخدم مصطلحKhowledgeليشير إلى كل نمط فكري يمتد مداه من المعتقد الشعبي إلى العلم الوضعي[4]

وقد تعرض كثير من السوسيولوجيين لقضية العلاقة بين المعرفة والوجود الاجتماعي، فبينما استبعدت العلوم الطبيعية من أن تكون تعبيراً عن أو متأثرة من حيث محتواها بالوجود الاجتماعي إلا أنه قد ثبت مؤخراً أن محتوى العلم الطبيعي يخضع لتلك المؤثرات التي تؤثر في كافة أشكال المعرفة، وقد اختلفت آراء المفكرين في تفسير العلاقة بين المعرفة والوجود الاجتماعي.[5]فنجد من يعتبر أن المعرفة هي انعكاس مباشر للواقع الاجتماعي أو الوضع الطبقي، أو الفئوي في المجتمع، وبالتالي فهي تعبر عن رؤيتها ومصالحها وعلى الجانب الآخر يرى فريق من الباحثين ان هذه العلاقة إن وجدت

[1]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص:613.
[2]- المرجع نفسه، ص:613.
[3]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص:07.
[4]- المرجع نفسه، ص:08.
[5]- علي مختار إشكالية العلاقة بين الإيديولوجيا والعلوم الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1984، ص:167.

فهي عشوائية، ويندرج بين الاتجاهين اتجاهات متعددة ومتباينة.ويبدو أن الاتجاه الأكثر قوة هو الذي يرى أنه توجد علاقة بين طهور الأفكار وانتشارها ونموها وذبولها وبين المصالح الاجتماعية.[1]

بالتالي يعد "كارل مانهايم" من الداعين إلى وجود علاقة بين "المعرفة والواقع الاجتماعي" حيث حاول أن يعقد شتى الصلات التي تربط بين الفكر السياسي والنزعات النظرية في الفلسفة من جهة، وردها إلى الجذور الاجتماعية والأصول التاريخية من جهة أخرى.[2]

يبدو أن هناك دلائل قوية تؤكد على العلاقة بين المعرفة والوجود الاجتماعي والتاريخي، فعلى سبيل المثال، تنظر الأمم المختلفة إلى الأشياء بطرق مختلفة، وكذلك تنظر الجماعات والطبقات في المجتمع الواحد إلى الأمور بطرق مختلفة يسميها مانهايم "طرز التفكير" فالعثمانيون مثلا أعادوا كتابة التاريخ الإسلامي من منظور الأوضاع الاجتماعية التاريخية المهيمنة في زمانهم، كما أعاد اللاهوت المسيحي كتابة التاريخ الأوربي قبل ظهور الدولة القومية، [3] ويرى مانهايم أن هناك تنافراً وتناقضا بين أفكار الجماعات المختلفة وبين الواقع الاجتماعي التاريخي، وهذا التناقض راجع إلى اختلاف الرؤى والمصالح في تبرير كل جماعة لوضعها الخاص، وتتدخل المعتقدات والتقاليد [...] في توسيع هذا التنافر وتضخيمه[4].

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن نظرية كارل مانهايم في المعرفة تعد نقطة انطلاق جديدة، حيث تتحدد انطلاقته بنقده لنظرية المعرفة التقليدية التي تقتصر على ثنائية الذات والموضوع مما سبب في عجزها وعمقها، فكان علم اجتماع المعرفة عند مانهايم بمثابة البديل الملائم له في نظره، حيث اقامه على أساس الربط بين المعرفة والفكر من جانب والظروف الثقافية والتاريخية من جانب آخر[5]

وإلى جانب رفضه لنظرية المعرفة التقليدية، انتقد مانهايم بعض الاتجاهات السيوسيولوجية، فبدأ (بماركس) حيث انتقده في مقولته الشهيرة التي تربط ما بين الوضع الطبقي والفكر والإيديولوجية،

---

[1]- المرجع نفسه، ص:167.
[2]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص:608.
[3]- خلدون النقيب، الأيديولوجيا والطوباوية وعلم اجتماع المعرفة، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء العربي، العدد 16، 1981، ص:24.
[4]- المرجع نفسه، ص:24.
[5]- السيذ عبد العاطي السيد علم اجتماع المعرفة، ص: 218.

واستبدل الوضع الطبقي بحركة التاريخ كمصدر لكل فكر، على اعتبار أن أنماط الفكر وأساليبه لا تفهم في حدود الطبقة وحدها، بل تفهم في ضوء الأصول والظروف الاجتماعية والمصادر التاريخية.[1] كما رفض مانهايم مقولة (دوكايم)"بالعقل الجمعي"، واعتبر هذا العقل عقلاً ميتافيزيقيا. وفي المقابل رد الفكر والمعرفة إلى الفرد، فالإنسان العارف في نظره، ليس هو الذي يفكر من خلال عقل جمعي دوركايمي، وليس هو الذي يفكر في عزلة صورية كما تصور (كانط)، بل هو الإنسان في وضعه وموقفه المشخص، هو الإنسان المرتبط بوجوده الاجتماعي.[2]

وعليه فإن مانهايم لا يؤمن بفكرة "الموضوعية المطلقة" بل يقر بنسبية الفكر والمعرفة، ومن هذا المنطلق انتقد مانهايم ما جاءت به المدرسة الفينومينولوجية عند (هوسرل)، حيث رفض ما تدعيه من إدراك المطلقات وحدس الماهيات ولكنه بالرغم من ذلك لم يعترض على بعض التعاليم التي صدرت عن الموقف الفينومينولوجي، وخاصة فيما تعلق "بالأفعال القصدية" التي تقوم بها الذات نحو إدراك الموضوعات وفهم الظواهر.[3]

كما توجه مانهايم بالنقد إلى علم الاجتماع الوضعي ورفض ما جاء به، وذلك لعدم التفاته إلى ذلك التمايز الواضح بين خصائص العالم الفيزيقي والعالم الإنساني.[4] فالعالم الفيزيقي يعبر عن ظواهره بلغة "الكم" و"القياس"، ولكن ظواهر العالم الإنساني تختلف عن موقفنا من ظاهرات العالم الفيزيقي، إذ أن قيم الإنسان وأفعاله تقتضي منا للكشف عن مضمونها وحقيقتها، أن نتخذ منها "موقفا قصديا"[5]

ومما سبق يتضح لدينا بأن مانهايم بالرغم من الانتقادات التي قدمها إلا أنه كان متأثراً نوعا ما بشتى الأفكار وإن كان ناقداً لها. فإلى جانب تأثره بالماركسية، تأثر الفكر المانهايمي بالموقف

[1]- المرجع نفسه، ص: 218.
[2]- المرجع نفسه، ص: 219.
[3]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص: 614.
[4]- المرجع نفسه، ص: 215.
[5]- المرجع نفسه، ص: 214.

الفينومينولوحي الذي اصطنعه "إدموند هوسرل"، كما تأثر ببعض الاتجاهات والمواقف الفلسفية، كفلسفة كانط وهيجل.

وعليه يمكن القول بوجه عام بأن كل تلك الانتقادات التي قدمها مانهايم إلى المناهج السابقة التي كان يُعتمد عليها في بناء المعارف، كانت بمثابة المؤهلات لظهور "علم جديد" قائم على الربط بين الفكر والمعرفة من ناحية والظروف التاريخية والثقافية من ناحية أخرى، وأطلق عليهمانهايم اسم "علم اجتماع المعرفة" ومن هنا يمكننا أن نتساءل عن معنى هذا العلم الذي أسسه مانهايم وما الهدف من تأسيسه والعلاقة التي تربط هذا العلم الجديد بالأيديولوجيا.

المطلب الثاني:تاسيس علم اجتماع المعرفة.

يعتبر علم اجتماع المعرفة ليس علما سوسيولوجيا أو فلسفيا فقط، ولكنه أيضا أداة تحليلية نستطيع استخدامها في وصف اهتمامات العلوم بالمنتجات الذهنية من خلال إلقاء الضوء على نشوء الفكر الواقعي وبنائه ومضمونه [...] ومن خلال هذه النقطة تظهر الحاجة إليه، علاوة على أنه منهج تفسيري نحتاج إليه في المحددات الاجتماعية للمعرفة والفكر والثقافة[1]

ولقد أوردت الدكتورة أمل مبروك في كتابها "الأسطورة والإيديولوجيا" تعريف عام لعلم اجتماع المعرفة حيث رات بأنه "هو محاولة لتتبع الموقع الاجتماعي لمختلف أشكال المعرفة، وبحث نشأتها في صلتها بعناصر بنائية اجتماعية معينة، إنه لا يهتم بصحة الأفكار، وإنما بوظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالمصالح والجماعات الإنسانية"[2]

وعليه، ترجع البدايات الأولى لعلم اجتماع المعرفة Sociology ofKnowlegeإلى النظرية المادية التاريخية عند "ماركس" وتحليله للمعرفة وتفسيره للتاريخ، وكشفه عن طبيعة الأيديولوجيا والحقائق السائدة في المجتمعات، حيث رأى "ماركس" أن البناء التحتي هو مصدر كل أشكال المعرفة،

[1]- طه عبد العاطي نجم، سوسيولوجيا المعرفة، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، دون ط، 2014، ص: 21.
[2]- أمل مبروك، الأسطورة والإيديولوجيا، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د ط، 2011، ص:131.

وامتدادا لهذا الفكر الماركسي وإسهاماته في نظرية المعرفة[1]، تطورت هذه النظرية بظهور العديد من النظريات السوسيولوجية والتي حاولت في هذا المجال أن تؤكد على أن الظروف الاجتماعية تشكل موضوع المعرفة، وتحدد أيضا الأهداف التي تسعى إليها المعرفة[2]

في هذا الصدد ظهر "كارل مانهايم"والذي يعد الممثل الحقيقي لعلم الاجتماع الألماني المعاصر نظرا لإسهاماته الواضحة في "علم اجتماع المعرفة". وقد مثلت البدايات الفكرية الأولى لنظريته السوسيولوجية في العقل اسهاما متميزاً يمكن أن نلاحظه في أعماله المبكرة.[3] وقد بذل مانهايم . كما ذكر أحد شراحه ومترجم أعماله إلى الإنجليزية، جهدا واضحاً في تحديد مجال العلم ومنهاجه، وبخاصة في محاولته تأكيد الطابع الاجتماعي للمعرفة في مقابل التفسيرات الفلسفية والميتافيزيقية التي قدمها سابقوه، وأنه بهذا الجهد دفع بالنظرية السوسيولوجية نحو آفاق جديدة[4]

وبالتالي يمكن القول بأن الصياغة العامة لهذا العلم قد ظهرت على يد "كارل مانهايم" في كتابه " الإيديولوجيا واليوتوبيا" سنة 1929، واعتبر هذا الكتاب أساس هذا العلم، [5] وقد عرف "مانهايم" علم اجتماع المعرفة بأنه "العلم الذي يهدف إلى تحليل العلاقة بين المعرفة والوجود أو الفكر والواقع الاجتماعي التاريخي، حيث يتعقب جذور الأشكال المختلفة لتلك العلاقة خلال مسيرة التطور العقلي الذي قطعته الإنسانية"[6] ويعرف أيضا "بأنه نظام معرفي يحاول الكشف عن اعتماد الآراء ووجهات النظر الفكرية والعقلية اعتمادا وظيفيا على واقع الجماعات الاجتماعية المتمايزة التي تساندها، وهو أيضا العلم الذي يضطلع بمهمة تتبع تطور هذه المنطورات والآراء المختلفة، وباختصار هو دراسة الطرق التي من خلالها تؤثر العوامل الاجتماعية في كل النتاجات الفكرية والعقلية والمعرفية.[7]

وتمثلت القضية الكبرى التي دارت حولها أعمال مانهايم في:

[1]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص:12.
[2]-. المرجع نفسه، ص:16.
[3]- المرجع نفسه، ص:43.
[4]السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص:213.
[5]- طه عبد العاطي نجم، سوسيولوجيا المعرفة، ص:34.
[6]- أمل مبروك، الأسطورة والإيديولوجيا، ص: 133.
[7]- السيد عبد العاطي السيد، مرجع سبق ذكره، ص:219- 220.

أ – توضيح الطابع الجمعي للمعرفة (فالمفكر الفرد يعبر عن وجهة نظر جمعية وليست فردية، وأن أعماله تعبر عن الأحداث ومجريات الأمور الاجتماعية)

ب – تصنيف المعرفة إلى أساليب متميزة للفكر بمعنى تصنيفها على حسب أشكال الفكر(البورجوازي والمحافظ والبروليتاري)

ج – توضيح علاقة المعرفة الوثيقة بالجماعات الاجتماعية المختلفة[1]

ولقد اعتمد مانهايم في دراسة اساليب الفكر على "التحليل" ومن ثم تنطوي مهمة التحليل بالضرورة على:

أ – تحليل السياق التاريخي وربط البناء الاجتماعي للجماعة بالنتاج الفكري

ب – تحليل الوحدة الداخلية للكل في ذاته.[2]

وبالتالي رأى مانهايم أن "حركة التاريخ" وحدها هي مبعث الفكر، وأن الحدس التاريخي في سعيه الحتمي الدائم، هو المصدر الوحيد للمعرفة، ومعنى ذلك أن "الفكرة" التي يرتكز عليها علم الاجتماع المانهايمي في المعرفة إنما تتمثل في "أنماط الفكر وأساليبه"، التي لا يمكن فهمها إلا في ضوء الأصول الاجتماعية والمصادر التاريخية، فلا ينبغي أن تقتصر مع ماركس على مجرد الوقوف عند حدود الطبقة وحدها[3]

ولأن أساليب الفكر تمثل (كليات) في ذاتها، فلذلك يصعب فهمها من وجهة النظر السوسيولوجية عن طريق المقاييس والوسائل الكمية ولذلك كان من أهم المبادئ المنهجية التي وضعها مانهايم هو استحالة تحليل الكل والمركب في ضوء الجزء والبسيط.[4]

وبإيجاز يدرس علم اجتماع المعرفة طرق تأثير الظروف الاجتماعية في المنتجات الذهنية او المعرفية.

[1]- المرجع نفسه، ص:220.
[2]- المرجع نفسه، ص:220.
[3]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص:618.
[4]- السيد عبد العاطي السيد، مرجع سبق ذكره ، ص: 220.

وعليه فإن مانهايم وإن لم يصرح بمنهج محدد للدراسة إلا أننا سنحاول في هذا الصدد معرفة المنهجالذي استعان به في دراسة لعلماجتماع المعرفة.

المطلب الثالث:مناهج دراسة علم اجتماع المعرفة

بالرغم من أن "مانهايم" لم يناقش كثيراً وضع منهج محدد للدراسة في علم اجتماع المعرفة، فقد ظهر بوضوح أن التفسير هو الأساس في موضوع العلم، وقد طبق "مانهايم" المعنى الضمني للتفسير في المعرفة، لكنه لم يقدم تقييما شاملا لما نعتبره معرفة بالنسبة للبحث الأمبريقي، وتعبر اللغة ليست مجرد كلمات مجردة، ولكنها ممارسة اجتماعية، وتشكل هدفا إمبريقيا لدراسة علم اجتماع المعرفة.[1]

وتشير مقولة "تفسير المعرفة" عندما "مانهايم" إلى المعالجة العلمية البحتة للقضايا الثقافية، والتي تكون من خلال تفسير معانيها، وقد تطورت مناهج دراسة "علم اجتماع المعرفة" على يد "مانهايم" عندما قبل مناهج العلوم الطبيعية في بعض الموضوعات بالرغم من تناقض مفاهيم الثبات في العلم الطبيعي والرياضيات مع مفاهيم الدينامية في التاريخ والعلوم الاجتماعية[2] ولهذا قبل مانهايم مناهجها قبولا جزئيا وغير كامل، فالمنهج الميكانيكي الذي يفتت الكل إلى وحدات جزئية ودقيقة، منهج لا يتلاءم في نظر "مانهايم" والعلوم الاجتماعية [...] لأن علم الاجتماع يشمل على دراسة معاني خبرة وتجربة الأفراد[...]، [3] بينما لا تتعامل العلوم الطبيعية مع خبرات إنسانية، فعندما يتعامل علماء الطبيعة على سبيل المثال مع الذرات، فليس بالضرورة أن يكون لديهم معاني خبروية عن الذرات، [4]ومن هنا كان للمعاني في نظر مانهايم، أهمية ومنزلة عالية في علم اجتماع المعرفة.[5]

ولقد جعل مانهايم من بين المهام التي يضطلع بها "علم اجتماعالمعرفة" عنده هو بحث وتوضيح الأسس "اللاعقلانية "للمعرفة العقلانية، وذلك نظرا لأن المعرفة تتطور من خلال النشاطات

[1]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص:48.
[2]- المرجع نفسه، ص: 48-49.
[3]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص: 221.
[4]- طه نجم، مرجع سبق ذكره، ص: 49.
[5]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص: 188.

الجمعية، فيصبح من الضروري إذا، في نظر مانهايم، أن نشير إلى أن جانبا كبيرا من المعرفة ينموا ويتطور من خلال "اللاوعي أو اللاشعوري الجمعي"، [1] وبالإضافة إلى ذلك، فقد أثارت وسائل تحديد وفهم اللاوعي الجمعي مشكلة أخرى ترتبط بمدى القدرة على السيطرة أو ضبط اللاوعي الجمعي الراهن. هنا يقترح مانهايم مدخلاً لمعالجة هذه المشكلات من خلال دراسة الأيديولوجيات التي تحكم النشاطات الجمعية للناس.[2]

غير أنه على الرغم من أن "مانهايم" قد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما حاول تطوير إجراءات منهجية في علم اجتماع المعرفة، إلا أنه لم يوضح ارتباط الفكر بالمجتمع.

وتعد مشكلة النسبية في المعرفة من بين المهام الرئيسية التي يضطلع بها علم اجتماع المعرفة لدى "مانهايم، " ولهذا لا بد من التطرق إلى هذا العنصر بالتحليل لما له من الأهمية في نظرية المعرفة العلمية لدى "مانهايم"

[1]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص: 223.
[2]- المرجع نفسه، ص: 223 - 224.

المبحث الثاني:مانهايم ونظرية النسبية في المعرفة

مثلت مشكلة النسبية في الكتابات المبكرة "لمانهايم" المشكلة الرئيسية لعلم اجتماع المعرفة، لأنها هي التي تضع في تصوره حدود علم اجتماع المعرفة ذاته.[1]

ولقد أكد "مانهايم" على أهمية المنطور "الجشطالتي" (الكلي) في فهم الفعل الاجتماعي، فنحن لانفهم الجزء بدون فهم الكل وحينئذ لكي نفهم فعل لشخص ما، يجب أن يكون لدينا منظور واسع نرى من خلاله الناس ككل، إذ يعد علم اجتماع المعرفة أحد العلوم الرئيسية في استشراف العالم، ويتضح ذلك عند ما يحاول أحد منا فهم فعل أي جزء من العالم[2]وعبر هذا الاستشراف نستطيع أن نبدأ بدراسة مسلمات ومبادئ الجماعات المتصارعة في العالم، كما يمكن تتبعها للتعرف على طبيعتها والأهداف التي تتمسك بها.[3]

إن الفرد لا يستطيع، على حد تعبير مانهايم . أن يفكر بمفرده، ولا يستطيع أن يتمايز أو يختلف بمفرده أيضا، ولكنه يبدأ بأفكار الأخرين، سواء اتفق معهم أو حاول تعديل فكرهم او استبداله بفكر أخر، وذلك لمواجهة تطورات المواقف الاجتماعية.[4] فالفرد بداية هو جزء مكمل للتواصل الفكري، والفرد ينتمي إلى جماعة، ليس لأنه ولد داخلها، [...] ولكنأيضا لأنه يرى الحياة والعالم في ضوء المعاني التي يكتسبها من الجماعة. ولذلك لكي نفهم بالضبط سلوك شخص ما يجب دراسة أنساق المعاني للجماعة التي ينتمي إليها.[5]

[1]- المرجع نفسه، ص 244.
[2]- طه نجم ،علم اجتماع المعرفة، ص 49.
[3]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة ص222.
[4]- المرجع نفسه، ص: 222.
[5]- طه نجم، مرجع سبق ذكره، ص 50.

لقد اعتبر "مانهايم" تطور المعرفة في الجماعة مظهراً اجتماعيا لحياتها، وبالتالي اعتبره شكلاً من أشكال العملية الاجتماعية ذاتها، بل اعتبره عملية تعاونية تتطور فيها معرفة أي فرد داخل إطار النشاطات المشتركة التي يلعب فيها الفرد دورا متميزا إلى حد ما[1]

ومن هنا أكد "مانهايم" على أن الأفكار جميعها، بما فيها أفكار المنطق والرياضيات نواتج اجتماعية[2]

ولقد أكد مانهايم على أن ظواهر العالم المادي يجب أن ينظر إليها على أنها أمور ثابتة لا تتغير، وأن المعرفة الصادقة والمؤكدة بمثل هذه الظواهر يمكن تحصيلها عن طريق الملاحظة المجردة إلى جانب القياس الموضوعي الدقيق وتتطور المعرفة العلمية من خلال التراكم التدريجي للنتائج الثابتة والدائمة المرتبطة بالعالم الطبيعي الثابت[3]

وعلى العكس من ذلك، فإن "النتاجات الثقافية "أمور لا يمكن بحثها أو تمحيصها بمناهج الملاحظة المجردة والموضوعية، لان فهمها يستوجب التعرف على تفسير معانيها لدى المشاركين فيها، في الوقت الذي يصعب فيه ملاحظة هذه المعاني بنفس الطريقة التي تلاحظ بها موضوعات العالم الخارجي، لأن لكل حقبة تاريخية قيمتها ومعانيها الخاصة والمتميزة.[4]

وانطلاقا من هذا التمييز الذي أقامه بين العلوم المتخصصة وبين النظم المعرفية لثقافية المغايرة، عالج مانهايم العلوم الطبيعية باعتبارها حالة خاصة من منظور علم اجتماع المعرفة. لهذا تعد مشكلة النسبية أهم مشكلة إبستمولوجية واجهت مانهايم، إذ يؤكد علم اجتماع المعرفة على أن كل أشكال الفكر الاجتماعي والتي تقع خارج نطاق العلوم الدقيقة والمضبوطة أمور نسبية تتأثر بالوضع أو السياق الاجتماعي الخاص[5]

[1]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص 189.
[2]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة ، ص 10.
[3]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص 245 - 246.
[4]- المرجع نفسه، ص 246.
[5]- المرجع نفسه، ص 246 – 247 - 248.

إن فكرة ثبات البنية الهيكلية للعلوم المضبوطة والدقيقة، أصبحت أقل ثباتا وتأكيداً إذا قورنت بمنطق العلوم الطبيعية الكلاسيكية، وهنا مانهايم يتشكك في تمييزه للمعرفة العلمية بأنها ثابتة أو تتغير خلال الزمن.

لقد توصل مانهايم إلى أن معرفة العالم الطبيعي شأنها في ذلك شأن معرفة العالم الاجتماعي، تعتمد على طبيعة الأسئلة التي تطرحها، والأهداف التي يتوخاها الباحثون.[1]

وبالتالي يكون فكر مانهايم قد صيغ في ضوء التمييز الإبستيمولوجي بين المعرفة العلمية والمعرفة السوسيوتاريخية، لذا فإن أي محاولة جادة لتعديل أو مراجعة الإبسمولوجيا المرتبطة بالعلم الطبيعي تحتم ضرورة المراجعة والتعديل الشامل لنتاجه السوسيولوجي برمته[2]

وقد ميز مانهايم في كتابه الأيديولوجيا واليوتوبيا بين "النسبية" (بمعنى أن تنسب كل الأفكار إلى موقف ما) وبين "الارتباطية" أو العلائقية (بمعنى أن الأفكار، وإن ارتبطت بسياقات معينة، لا يحكم ببطلانها من منظور الصدق والكذب)، [3] غير أن مانهايم انتهى الى الأخذ بمنظور تاريخي هيجلي مفاده أنه وإن كان علم اجتماع المعرفة يربط الأشكال المختلفة للفكر بمواقف اجتماعية معينة، إلا أن صدق محتوى المنظورات المختلفة يكمن في ارتباطها بحقيقة " فوق تاريخية" ومن ثم، تبتعد مهمة تقطير الصدق (أي استخلاصه نقطه بعد أخرى) من الخطأ والزيف في المنظورات المختلفة عن نطاق التاريخ، لتصبح مهمة أساسية يضطلع بها المثقفون.[4]

ويبن محمد سبيلا بأن "مانهايم" حاول الانفلات من "النسبية "مسميا مذهبه "بالمنظورية "Perpechvism بمعنى أن فئة اجتماعية ترى المجتمع من موقعها الخاص الذي تحدده مصالحها، "فالوطني "ينظر إلى الأحداث ويقيمها من زاوية الوطن، و"الاشتراكي" يقرأ الأحداث من زاوية الصراع الطبقي ومسار التاريخ، و"الليبرالي "يقرأ الأحداث والوقائع من زاوية مقولة "الحرية"[5]

[1]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ، ص201.
[2]- المرجع نفسه، ص 206.
[3]- المرجع نفسه، ص 224.
[4]- محمد الأنصاري، مرجع نفسه، ص 190 - 191.
[5]محمد سبيلا، الإيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، ص 46.

ويذهب "مانهايم " إلى توضيح مذهبه الجديد الذي ابتكره وهو مذهب المنظورية والذي يرى بأنه "يعين على تحرير الإنسانية، لأن الباحث حينما يرى الواقع الاجتماعي والأحداث التاريخية انطلاقا من منظور طبقة، ثم يرى نفس الأحداث من منظور طبقة أخرى فإنه بذلك يقترب من الواقع ولا يبتعد عنه"[1]

وقد افترض" مانهايم " أن الحاجة إلى علم اجتماع المعرفة بدأت عند ما حدث انهيار في وحدة الفكر، وفشل الكنيسة في الاحتفاظ بالاحتكار العقلي، وقد أدى تطور اختلاف الأوضاع الفكرية إلى إنهاروحدة الفكر ا، مما دعى إلى خلق حاجة إلى علم اجتماع المعرفة ومنتجاته.[2]

وعلاوة على ذلك، ذكر "مانهايم" عاملاً أساسيا أخر اقترن بضهور علم الاجتماع المعرفة [...] وهو البحث عن مناهج البحث الاجتماعي، [...]، حيث دار جدل طويل حول دور الوضعية في العلوم الإنسانية أو تفنيد الأحكام القيمية، وكان هذا النزاع علامة واضحة لغياب الوحدة أو الاتفاق على وجود معرفة صحيحة، [3] وقد عالج "مانهايم"موضوعية المعرفة من خلال العوامل الاجتماعية باعتبار أن لها دور مؤثر في نشأة المعارف واكتسابها. وقد حاول "مانهايم" أن يعقد الصلات المختلفة التي تربط بين الفكر السياسي والنزعات النظرية في الفلسفة من جهة، وردها إلى الأصول التاريخية والجذور الاجتماعية من جهة أخرى.[4]

وتتميز نظرية المعرفة عند مانهايم، بنزعته التاريخية، وإيمانه بفكرة النسبية، وباتجاهه الوظيفي في تفسير الظاهرات والأحداث الاجتماعية والتاريخية، فقد بدأ مانهايم أول ما بدأ به تشييد سوسيولوجية المعرفة، بنقد الإبسيتمولوجيا التقليدية وتأكيد عجزها، إذ أنها انحصرت بين قطبي "الذات" و"الموضوع" مما أصابها بالركود والعقم، [5] وبأن العلم الحق الذي يهدينا سواء السبيل في حل المسألة الإبسيتمولوجية، وفي اكتشاف معايير الصدق والخطأ، هو " علم إجتماع المعرفة" والذي بدأ في

[1]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ، ص 165.
[2]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص46.
[3]- المرجع نفسه، ص 46.
[4]- طه عبد العاطي نجم، سوسيولوجيا المعرفة، ص 59.
[5]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص 616.

الظهور كي يحل بديلاً عن الإبسيتمولوجيا التقليدية وينهض بتفسير مسائلها، وذلك بربط الفكر والمعرفة بالظروف الثقافية والتاريخية.[1]

وتظهر اجتماعية المعرفة بالنسبة "لمانهايم" في طريقتين:

1- هي أنها تقدم في مجتمع تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية للفرد.

2- وتعد المعرفة أيضاً مصدر مشاركة الأعضاء في المجتمع، حيث تعطي المعرفة الفرد الدراية الفكرية الذاتية لجماعته الاجتماعية.

ولكن ما هو موروث لا يعد مضموناً معرفياً خالصاً، ويتمثل الاساس الاجتماعي للمعرفة في بعض المقولات التي تساعدنا على إدراك أو فهم العالم[2]

ويهدف علم اجتماع المعرفة عند "مانهايم " إلى إمكانية كشف معيار لتحديد العلاقات المتداخلة بين الفكر والعقل، ويأمل هذا العلم في الخروج بنظرية تهتم بالعوامل غير النظرية التي تمارس دوراً في تحديد المعرفة، وعندما تتركز مهمة علم اجتماع المعرفة في بحث العلاقة بين الفكر والفعل فيمكن تمييزه عن المنظور الفلسفي او السيكولوجي.[3]

ويرى "مانهايم " أن دراسة تاريخ الأفكار مع الإشارة فقط إلى العوامل النظرية المحددة للفكر سوف يجعلنا نجهل تأثير العوامل غير التاريخية.

وقد حدد "مانهايم " طبيعة علم اجتماع المعرفة، حيث يتكون من مجالين رئيسين هما "نظرية سوسيولوجية" و"منهج تاريخي" في البحث.

ويصنف الاتجاه النظري في علم اجتماع المعرفة إلى:[4]

1- البحث الامبريقي الخالص، وذلك من خلال وصف وتحليلات بنائية للطرق التي تستخدم في دراسة العلاقات الاجتماعية والواقع والفكر المؤثر

[1]- إسماعيل قباري، علم الاجتماع والفلسفة، نظرية المعرفة، ص 145 – 146.
[2]- طه عبد العاطي نجم، سوسيولوجيا المعرفة ، ص 60.
[3]- المرجع نفسه، ص 60.
[4]- المرجع نفسه، ص 61.

2- البحث الإبسيتمولوجي، حيث يهتم بالعلاقات المتداخلة بين أجزاء النسق الاجتماعي.ويرى "مانهايم" أن علم اجتماع المعرفة يتسم بكونه نظرية وباعتباره بحثاً تاريخياً

سوسيولوجيا، فهو كنظرية يحاول أن يحلل العلاقة بين المعرفة والوجود، وهو كبحث تاريخي سوسيولوجي، يحاول اكتشاف الأشكال التي تتخذها العلاقة بين الفكر والواقع في التطور الفكري للإنسانية.[1] فالفكرة البورجوازية والفكرة الاشتراكية، ومشكلة الخلافة والأحزاب الإسلامية لا يمكن الكشف عن مضامينها الحقيقية إلا في معرفة درجة ترابطها وتجانسها مع العلاقات الاجتماعية السائدة وإرجاعها إلى الأوضاع التاريخية التي ظهرت فيها، بمعنى أنه من المستحيل الوصول في بعض مجالات الفكر إلى حقيقة مستقلة عن قيم وآراء البشر في واقعهم الاجتماعي التاريخي. [2]

ولهذا السبب توجد فروق جوهرية بين نظرية الأيديولوجيا وعلم اجتماع المعرفة عند "كارل مانهايم" حيث تركز نظرية الأيديولوجيا على الاستخدام الجزئي لمصطلح الأيديولوجيا، بينما يهتم علم اجتماع المعرفة بالاستخدام الكلي لهذا المصطلح وذلك من خلال الاهتمام بهذه التركيبة الذهنية الكلية بالذات كما تبدو في تيارات الفكر بين الجماعات التاريخية على المستوى البنائي[3]

وتفاديا للنسبية[...] طور مانهايم منهجاً للتحليل يربط به المعنى التوثيقي للأشكال والصور الثقافية بكل من السياق التاريخي والاجتماعي والوحدة الداخلية للكل ذاته.[4] وبالتالي تصبح العملية الاجتماعية بالضرورة "عملية معقولة" لأنها لا يمكن ان تفسر أو تحلل إلا في ضوء الاتجاهاتوالتيارات التاريخية السائدة التي تعطيها مغزاها ومبناها.[5]

وعلى هذا الأساس نجد "مانهايم" يؤمن بفكرة التاريخ على اعتبار أنها فكرة إيجابية "خالقة للفكر"، كما يؤمن أيضا بقدرية التاريخ، وبألا نعترض على حكمه مهما كان قاسيا صارماً، إذ أن حكم التاريخ "هو حكم الحياة"، وبهذا المعنى تستمد الحقيقة مادتها من التاريخ حسب

[1]- خلدون النقيب، الأيديولوجيا الطوباوية وعلم اجتماع ، ص 29.
[2]- المرجع نفسه، ص 29.
[3]- المرجع نفسه، ص 29.
[4]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص 224.
[5]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص 623.

"مانهايم."[1]ومن هنا نستطيع القول مع مانهايم كما وسبق وذكرها هيجل " بأن كل ما هو تاريخي هو معقول، وكل ما هو معقول هو تاريخي.[2]

ولذلك التفت مانهايم إلى العمليات الاجتماعية كمصدر أساسي لعملية المعرفة، وأكد الوجود الاجتماعي على أنه المحك الوحيد والمعيار الفريد في الفكر والمعرفة.

وعليه، ومن خلال ما سبق استطاع"مانهايم"أن يحدد مستويات لتطور المعرفة وتغير الفكر، وحصرها في ثلاث مستويات، حيث أن هناك اتجاهات معينة على هديها يسير العقل وبفضلها يتجه الفكر، وتتصل هذه الاتجاهات عند مانهايم، بمراحل فكرية، أو مرحلة أو منهج "المحاولة والخطأ" أو الاكتشاف بطريقة المصادقة، ثم يتجه الفكر نحو الاختراع، وأخيرا يصل العقل إلى مرحلة التخطيط.[3]

– فالمرحلة الأولى: تعبر عن نوع من الحياة الاجتماعية الأولى، التي صدرت معها "أشكال الفكر البدائية" و"صور المعرفة الأولية" [...] والتي تتعلق بالصيد وجمع الطعام وترتكز على أسلوب بدائي من أساليب الحياة.

– أما المرحلة الثانية: فتعبر عن التطور التاريخي والتغير الفكري في أساليب المعرفة الإنسانية، وطرأ تغير جذري على المجتمع من خلال التطور التكنولوجي الهائل والتقدم الألي[4]

– أما المرحلة الأخيرة: وهي مرحلة "التخطيط" أو منهج التفكير المخطط، حيث ظهرت في الوجود أنماط جديدة من المعرفة وشهد الفكر بلوغ درجة عالية من التطور وتداخل ميادين الفكر في عالم الاقتصاد والسياسة فتحول المجتمع من "استاتيكي بدائي" إلى "ديناميكي متغير"، فأصبحت عملية التخطيط عملية ضرورة لتنظيم هذا "التغير الاجتماعي" الذي هو الحقيقة الأولى في الوجود.[5]

[1]- المرجع نفسه، ص 622.
[2]- المرجع نفسه، ص 624.
[3]- إسماعيل قباري،المرجع نفسه، ص627 - 628.
[4]- المرجع نفسه، ص630 - 631.
[5]- المرجع نفسه، ص 631 - 632.

وقد كانت لدى مانهايم قناعة بأنه عندما لا يكون هناك توافق طوعي بين الجماعات بعضها مع بعض، وبين الأفراد بعضهم مع بعض، يصبح التخطيط الاجتماعي ضرورة لا مفر منها[1]

ولقد ذهب كارل مانهايم الى ان فهم الحقيقة التاريخية يلقى على عاتق شريحة اجتماعية متميزة مهمتها صك المنظورات المختلفة، وهي فئة قادة الفكر الاحرار، تلك الجماعة التي لا تتقيد بمصالح اجتماعية بعينها ومن ثم يتحقق لها الاستقلال الفكري.

وفي ضوء استعراضنا لمساهمات مانهايم في سوسيولوجية المعرفة نجد أن اتجاهاته السياسية والتاريخية، قد تأثرت إلى حد بعيد بالنزعات الهيجلية والماركسية والتاريخية، مما كان لهما أكبر الأثر في تشكيل الفكر المانهايمي وتكوين اتجاهاته النظرية في سوسيولوجية المعرفة، استنادا إلى "نسبية الفكر" و"المواقف التاريخية" والأخذ "بالنزعات البنائية" والوظيفية في التفسير التاريخي والتحليل الاجتماعي.

وباختصار نستطيع القول بأن "مانهايم" في مناقشة لنظرية المعرفة قدم إلينا ثلاثة أفكار رئيسية، فقد حاول أن يقتصر مجالالإبسيتمولوجية الوضعية على مجال العلم الطبيعي فقط، كما حاول أن يضع الخطوط الأساسية لإبسيتمولوجيا ارتباطية بديل للفكر السوسيوتاريخي المشروط والمحدد على نحو تام مع العلوم الفيزيقية المتقدمة، من هنا كان مانهايم اكثر اتساقافي موقفه الإبسيتمولوجي، ذلك لأن نظريته الارتباطية في المعرفة تدعم (موضوعية) الدعاوي المعرفية المشتقة اجتماعيا[2]

وبهذا يكون مانهايم قد حاول تأسيس علماً جديداً يتماشى والفكر المعاصر، العلم الذي يرى فيه مانهايم أنه الوسيلة المثلى لاكتشاف الحقيقة أو بالأحرى اكتشاف المحددات الاجتماعية للفكر.

وعليه إذا كان علم اجتماع المعرفة هدفه اكتشاف العملية التاريخية الكلية من خلال أنه يوضح المعرفة في إطارها العام والشامل، فإن الإيديولوجيا بخلاف علم الاجتماع تذهب إلى الاهتمام بتوضيح المعرفة من خلال موافق حياتية خاصة، بمعنى أن مهمة دراسة الإيديولوجياتكمن في فهم كل

[1]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ، ص 198.
[2]- المرجع نفسه، ص 206.

من وجهات النظر الفردية وبالتالي نلاحظ أن مانهايم قد اهتم بالايديولوجياكما اهتم بعلم اجتماع المعرفة لكونهما يخدمان بعضهما، ولهذا وبعد عرضنا لنظرية مانهايم في المعرفة لا بد علينا أن نتطرق إلى مفهوم أو المنطور المانهايمي للإيديولوجيا وعلاقتها بمفهوم اليوتوبيا.

الفصل الثالث

الإيديولوجيا من المنظور المانـهايمي

المبحث الاول: موقف مانهايم من الأيديولوجيا

المبحث الثاني:موقفمانهايم من اليوتوبيا

المبحث الثالث : العلاقة بين الايديولوجيا واليوتوبيا

المبحث الرابع : دراسة ابستيمولوجية تقيمية

توطئة

لاشك أن الاتجاه الماركسي قد أحدث أثاره الواضحة في ميدان سوسيولوجية المعرفة، فكان للكتابات الماركسية صداها في الدراسات اللاحقة في هذا الميدان وبخاصة عند "ماكس شللر" و"كارل مانهايم"[1]، بحيث أصبحوا من الرواد المؤسسين لموقف معرفي، ومن ثم لعلم اجتماع المعرفة، لأنهما بذلا أول جهد منظم لتطوير علم اجتماع المعرفة كفرع علمي متخصص.[2]

وتعد الأيديولوجيا من بين إسهامات "كارل مانهايم" في ميدان علم اجتماع المعرفة والتي قام بتحليلها ودراستها دراسة مفصلة في كتابه الشهير "الأيديولوجيا واليوتوبيا"، والتي اتسمت بطابع مغاير نوعا ما لأيديولوجية كارل ماركس «فإذا كان ماركس ماديا في تفسيره الأيديولوجي للتاريخ، فإن مانهايم يرد تلك الأيديولوجيات التي تحدد معالم الفكر الإنساني، بالنظر إلى الشروط الاجتماعية».[3]

وعليه سنورد في هذا الفصل الايديو لوجيا من المنظور المانهايمي وذلك من خلال التحليل المفصل لمفهوم الايديولوجيا بالاظافة الى تحليلنا لمفهوم اليوتوبيا ثم بيان علاقتهما معا، واخيرا سنورد الدراسة الابستيمولوجية النقدية لنظرية مانهايم ككل.

[1]- محمد إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د س، ص 599.

[2]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص 138.

[3]- محمد إسماعيل قباري، مرجع سبق ذكره، ص 599.

المبحث الاول: موقف مانهايم من الأيديولوجيا:

رأينافي الفصل السابق أن الأيديولوجيا تمحورت حولها عدة تعريفات مختلفة باختلاف التوجهات والمذاهب، كما تطرقنا إلى التعريف الذي شهد تطورا والذي كان مع "كارل مانهايم" ولكنه كان تعريفاً موجزاً، وبالتالي سنتطرق في هذا المبحث إلى التطور الذي شهده المفهوم مع "مانهايم" وتوضيحه حتى يتسنى فهم المنظور المانهايمي للأيديولوجيا.

وعليه، فقد تكلم (عبدالله العروي) في هذا الصدد في كتابه « مفهوم الأيديولوجيا» على أن الباحث الذي استخرج من الاجتماعيات الألمانية نظرية علمية في السياسية، اعتمادا على مفهوم الأدلوجة، هو" كارل مانهايم"، حيث كتب مانهايم كثيراً حول منهجية العلوم الاجتماعية وبالخصوص اجتماعيات الثقافة. إذ درس مانهايم الفكر المحافظ الألماني كنمط عام تندرج تحته كل الأدلوجات التي ترمي إلى المحافظة على نظام مجتمعي معين، واستخلص من دراسته هذهقواعد عامة لخصها في كتابه المشهور" الأيديولوجيا والطوبائية".[1]

ولقد نشأ مفهوم " الأيديولوجيا" في الفكر الماركسي بوصفه انعكاسا للصراع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يتحكم بالضرورة في التنظيم الطبقي في المجتمع، ويتركز في تلك المواقف والعلاقات التي ترتبط بصراع الجماعات والطبقات عبر التاريخ، ولذلك أرجع ماركس" الأيديولوجيا "إلى ما ينشأ داخل بنية الطبقة ذاتها من مشكلات، ولهذا نظر إليها بوصفها وعيا زائفا[2] إلا أن حكمه هذا في رأي "مانهايم" لا ينطبق على كل مفاهيم" الأيديولوجيا"، ذلك لأن "ماركس" لم يبرز سوى جزء من الحقيقة عندما وصف فكر الطبقة البورجوازية بـ "الأيديولوجيا" بينما قدم نفسه على أنه يمثل نظرية علمية تخدم طبقة البروليتاريا التي هي في واقع الأمر، أيديولوجيا من نوع خاص تتميز بأنها أعمق جذورا في الواقع الاجتماعي من سائر الأنواع الأخرى.[3]

[1]- عبدالله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، ص: 45.
[2]- أمل مبروك، الأسطورة والأيديولوجيا، ص: 138.
[3]- أمل مبروك، المرجع نفسه، ص: 139.

لقد حدد مانهايم في كتابه هذا معنى الأيديولوجية، حيث يقول بأنها " الأفكار المشوهة التي تطلقها الطبقة الحاكمة لتحافظ على النظام الاجتماعي الحالي أو النظام الاجتماعي السابق"، أو هي " التعبير الفكري لجماعة من الجماعات، وهذا التعبير يساعدها على تحقيق أهدافها وطموحاتها[1]" والأيديولوجيا حسب آراء وتعاليم البروفيسور مانهايم هي كلمة معاكسة للطوبائية والتي يعني بها المثالية.

وبالتالي تأخذ الأيديولوجيا عند مانهايم الذي استصحب إلى حد ما الإرث الماركسي معنيين متميزين: أحدهما عام والأخر خاص.

المطلب الاول:الأيديولوجيا في معناها الخاص أو الجزئي:

لقد ذهب الدكتور (عبد الرحمن خليفة) في كتابه "أيديولوجية الصراع السياسي" إلى أن الأيديولوجية بالنسبة لمانهايم يتراوح معناها الخاص بين الكذب الوجداني الشعوري والخداع النفسي، ولكنه ذو طبيعة سيكولوجية، أي ان الفرد الذي يؤمن بالمعنى الخاص للأيديولوجية يمكن ان يكون قادرا على التفكير بأسلوب أخر، لا سيما وإن ناله الشك تجاه الآراء والأفكار والمفاهيم التي يذهب إليها من يعارضه فيها يعنى أو يعلن من فكر، مما يترتب عليه عدم القدرة الموضوعية على إدراك الواقع الاجتماعي إدراكا كاملا.[2]

ويقول مانهايم في تعريفه للأيديولوجيا الخاصة أو الجزئية أنها "تشير إلى ما يغمر قلوبنا من شكوك وريب، وما يُعترى أنفسنا من تردد عن الآراء والتصورات سوالأفكار التي يتقدم لها المعارضون لنا"، تلك الآراء والأفكار والتصورات التي تُعَدُ في تقدير مانهايم بمثابة أقنعة شعورية واعية تحجب الطبيعة الحقيقية للوضعية الاجتماعية، لأن المعرفة الحقيقية بتلك الوضعية لا تتفق ومصالح المعارضين.[3]

[1]- كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا (مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة)، ترجمة: د. محمد رجا الديريني، شركة المكتبات الكويتية للنشر، الكويت، الطبعة 01، 1980، ص 132.
[2]- عبد الرحمن خليفة، أيديولوجية الصراع السياسي، ص 107.
[3]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص 139.

المطلب الثاني:الأيديولوجيا العامة أو الكلية:

تشير الأيديولوجيا العامة أو الشاملة حسب مانهايم إلى "أيديولوجيا عصر ما أو أيديولوجيا جماعة تاريخية – اجتماعية محدودة، كأيديولوجيا طبقة مثلاً، عندما يكون هدفنا هو أن نوضح سمات وتركيب البناء الكلي لعقلية ذلك العصر أو هذه الجماعة".[1]

ويتجلى الطابع المميز للمفهوم الخاص عندما نقارن بينه وبين المفهوم الكلي الذي هو أكثر منه شمولا واتساعا، [2] ولاشك أن العناصر المشتركة والعناصر المتميزة في هذين المفهومين واضحة تماما. أما العنصر المشترك بينهما فيكمن في أن كلا منهما لا يعتمد فقط على ما يقوله الخصم فعلا لكي يتوصل إلى فهم معناه ومقصده الحقيقيين.[3]

ومن ثم فإن الأيديولوجيات تنقسم إلى قسمين: أيديولوجيا جزئية، وأيديولوجيا كلية، أما الأولى فتقتصر على الجوانب السيكولوجية البحتة حين تركز على تصورات أو مواقف تثير الشكوك من ناحية الخصوم أو أصحاب التصورية المضادة.[4]ومن هنا فإن الأيديولوجيات الجزئية تشير إلى قطاع خاص من الفكر، وليس للفكر كله أو الواقع التصوري بأسره، على حين أن الأيديولوجيا الكلية إنما يتسع مداها ليشمل كل التصورات والتيارات الفكرية السائدة في أي عصر من العصور التاريخية.[5]

ولقد بين مانهايم أن كل من المفهوم "الكلي" و"الجزئي" يرتدان الي الذات، سواءا كانت تلك الذات فردا أو جماعة، ويسيران منطلقين لمعرفة ما يقال بطريقة تحليل الظروف الاجتماعية للفرد أو لجماعته، وهكذا تعتبر الأفكار التي تعبر عنها الذات نتاجا لوجودها، وهذا يعني ان الآراء والأقوال والقضايا والمذاهب لا تؤخذ بمعناها الظاهري ولكنها تفسر على ضوء الوضع الحياتي لمن يدلي بها.[6]

[1]- كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ص 129.
[2]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة ، ص 139
[3]- كارل مانهايم، مرجع سبق ذكره ، ص 129.
[4]- إسماعيل قباري، علم الاجتماع والأيديولوجيات، ص 22.
[5]- محمد الأنصاري، المرجع السابق، ص 140.
[6]- كارل مانهايم، المرجع السابق، ص 130.

لكن بالرغم من أن كلا المفهومين ينظران إلى ما يسمى " بالأفكار" على أنها نتاج لمن يقول بهاولوضعه في بيئته إلا أن بينهما اختلافات هامة، نختص منهابالذكر ما يلي:

أ – ففي حين أن التصور الجزئي "للأيديولوجيا" لا يطلق اسم الأيديولوجيا إلا على جزء من أقوال الخصم، فإن التصور الكلي يشك في نظرة الخصم إلى العالم بأسره[1]

ب – يضع المفهوم الخاص بالأيديولوجيا في تحليل الآراء والأفكار على مستوى نفسي مجرد، غير أنه لا بد من الافتراض بأن الطريقتين المتعارضتين يسهمان في معايير مشتركة للتثبت من صحة ما يقال، فعلى افتراض أن أحدالمعارضين يكذب، فلا بد أيضا من افتراض إمكانية دحض تلك الأكاذيب، وقطع دابرها بالرجوع إلى المعايير المقبولة للتثبت الموضوعي المشترك بين الفريقين، وكذلك فإنه لا يتم تجاوز الشك بكون المعارض ضحية أيديولوجية، إلى الحد الذي يستثنيه من الحوار والجدل على أساس إطار نظري مشترك.[2]

ولقد برهن مانهايم على ذلك الطرح بأننا عندما نعزو لفترة تاريخية واحدة عالما عقليا واحدا، ولأنفسنا عالما أخر، أو إذا كانت طبقة اجتماعية مقررة تاريخيا تفكر في مقولات غير مقولاتنا، فإننا لا نرجع إلى أمثلة وحالات منعزلة لمضمون الفكر، وإنما إلى أنساق الفكر المختلفة اختلافا أساسيا، وإلى أساليب الخبرة والتفسير المتباينة تبايناً كبيراً، ولذا حتى يتم الوصول إلى المستوى النظري أو العقلي يجب أن يتم الاهتمام بالشكل جنبا إلى جنب مع الاهتمام بالمضمون، بل وأبعد من ذلك، فإنه حتى الإطار العقلي الخاص بالمفاهيم ما هو إلا وظيفة لوضعية اجتماعية معيبة يعيشها الأفراد.[3]

وهكذا يقرر مانهايم أن هذين الأسلوبين هما أسلوبا تحليل الآراء والأفكار بوصفها وظائف تعبر عن الوضعية الاجتماعية التي يعيشها الأفراد والفئات، فيعمل الأول على المستوى النفسي، بينما

[1]- كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ، ص 130.
[2]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص 141.
[3]- كارل مانهايم، المرجع السابق، ص 130 - 131.

يعمل الثاني على المستوى العقلي. لأن الأيديولوجيا الكلية في إطار هذا التصور" تقوم على أسس ما يميز اتجاهات التفكير الكلي السائدة في روح العصر".[1]

ج – وفي هذه النقطة يكمن الاختلاف في أن «التصور الجزئي للأيديولوجيا يستعمل طريقة النظر إلى سيكولوجية المصالح، أما المفهوم أو التصور الكلي فإنه يحلل تحليلا ووظيفيا شكليا دون الرجوع إلى الحوافز، فيقصر نفسه على وصف موضوعي للفروق البنائية الموجودة بين العقليات التي تعمل في تراكيب اجتماعية مختلفة »[2] بمعنى أن المفهوم الأول يفترض أن المصلحة أو النفعية هي السبب لكذب معين أو خداع خاص، في حين أن المفهوم الثاني يفترض سلفا وبكل بساطة وجود تطابق بين وضعية اجتماعية معينة ورؤية معينة، أو وجهة نظر، وفي مثل هذه الحالة يصبح تحليل مجموعات المصالح أمرا ضروريا لتمييز الوضعية الكلية، وهكذا يحل التطابق بين الوضعية التي يراد معرفتها وأشكال المعرفة محل سيكولوجية المصالح.[3]

ولقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن كارل مانهايم وهو بصدد دراسة ظاهرة الأيديولوجيا ميز بين التصورات الخاصة والعامة للأيديولوجيا من منطلق أن المفهوم أو التصور الخاص في رأي مانهايم يشير إلى الأيديولوجيا على أنها تكون شريحة أو قطاعا فقط من الفكر المعارض، وهذا ما يميزه عن التصور أو المفهوم الشمولي للأيديولوجيا الذي ينظر إليه على أنه يشكل الفكر المعارض برمته.(مفهوم الوعي الزائف عند ماركس). أما التصور العام للأيديولوجيا فيشير ليس فقط إلى تمييز الفكر المعارض، بل وتمييز فكر الفرد ذاته.[4]

ولقد ذكر "ميشيل فاديه" في كتابه المترجم إلى العربية (الأيديولوجية وثائق من الأصول الفلسفية) نمطية كارل مانهايم في الأيديولوجيا إذ يقول: " نستطيع – أخيرا– ببعض التبسيط لنمطية كارل مانهايم، أن نميز بين المفهوم الجزئي والخاص(النزاعي) للأيديولوجية، وبين مفهوم الشامل والعام

[1]- إسماعيل قباري، علم الاجتماع والأيديولوجيات، ص 23.
[2]- كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ، ص: 131.
[3]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص: 142.
[4]- المرجع نفسه، ص 142- 144.

(البنائي). فالأول محمل بوعي بالذاتية الطبيعية في الحياة السياسية: [...] ويظل هذا المفهوم في إطار المستوى النفسي أو متهم إما بالتضليل الإرادي أو بالخطأ النابع من الوضع الطبقي".[1]

أما المفهوم الثاني وهو المفهوم الشامل فيقول عنه "ميشيل":"أما بالنسبة للمفهوم الشامل(البنائي) فالأدلجة هي عملية عامة تدين لها عمليا كل أشكال الفكر الملتزم، وهذا يفسر بالنسبة لمانهايم لماذا لم تكن طبقة البروليتاريا الملتزمة في فعل تاريخي، هي التي تحمل الوعي الأصيل بل كانت الأنتلجنسيا غير المرتبطة، المقولة المركزية لهذا المفهوم الشامل والعام، لم تعد – إذن – التضليل الإرادي، ولا الخطأ، بل تحول الجهاز المقولي للفكر في ضوء منظور خاص".[2]

ولقد أجمل الدكتور محمد سبيلا في كتابه " الإيديولوجيا نحو نظرية تكاملية" سمات كل من المفهومين والفارق بينهما في الجدول التالي:[3]

المعنى الجزئي	**سيكولوجي**	**المحتوى**	**عرضية الأيديولوجية**	**معنى صراعي جدالي**	**قدحي**	**فردي خاص**
المعنى الكلي	**اجتماعي**	**التنسيق والطريقة**	**ضرورة الأيديولوجية**	**معنى علمي موضوعي**	**حيادي**	**بنيوي عام**

وانطلاقا من التمييز السابق للمفهوم وبيان القاعدة الأبستمولوجية لمستويات التصور تبين بأن مانهايم حاول مانهايم أن يوسع من نطاق نظرية الأيديولوجيا، ومن ثم حاول أن يجرد مشكلتها المحورية من سياق الاستخدام السياسي، وأن يعالجها كما لو كانت مشكلة[4].

وبالتالي فقد ميز مانهايم في كتابه "الأيديولوجياواليوتوبيا"بينالأيديولوجياواليوتوبيا، فالأيديولوجيا في نظره «لا تعني ذلك التفكير الكاذب والعقلاني فهذا ما أسماه بالأيديولوجية الناقصة أو الجزئية Partial Ideology، بمعنى أن البعض يفكر بطريقة صحيحة، بينما يفكر البعض الأخر بطريقة أيديولوجية، مثلما فعل ماركس حينما ميز بين فكره وفكر البورجوازية، ولكنها عملية يصبح

[1]- ميشيل فاديه، الأيديولوجية وثائق من الأصول الفلسفية، تر:د. أمينة رشيد وسيد البحراوي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2009، ص 24.
[2]- المرجع نفسه، ص 24- 25.
[3]- محمد سبيلا، الأيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، ص 44 – 45.
[4]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،دط، 2006، ص 55.

فكر الطبقة من خلالها أكثر ارتباطا بالمصلحة، بالدرجة التي لا يجعلها تدرك أو تفهم وجود الحقائق التي قد تتعارض مع دعوتها ومطالبتها للسيطرة».[1]

وتعني الأيديولوجيا عند مانهايم " التفكير الذي يتحدد على نحو وجودي Existentialyأي التفكير من أجل العمل والفعل في موقف ما. وهي تعني كذلك مدى أثر الفكر بعوامل غير منطقية مثل الجماعة الاجتماعية، فالفرد في نظر مانهايم يشارك في عالم قبلي من أنماط للفكر سابقة على فكره هو، هذه الأنماط الفكرية هي دوافع جمعية ولاشعورية. إنها تفكير الجماعة، فالإنسان يفكر في حدود توقعات الجماعة، وتفسير الأفكار مسألة تخص طبيعة العضوية في الجماعات".[2]

وعلى حد تعبير مانهايم، للفكر أنماط « تختلف باختلاف الجماعات التي تؤثر حتى في مقولات الفكر، وطالما أن الفكر يرتبط على هذا النحو بالجماعة وبالمرحلة التاريخية، لذا يخلص مانهايم إلى أن أشكال التفكير ذات طابع أيديولوجي ».[3]

ولقد أشار مانهايم إلى أهم الأيديولوجيات التي تمارستأثيرات هائلة على جموع الأفراد وذلك على النحو التالي:

1- الأيديولوجية المحافظة البيروقراطية: وهي أيديولوجية تسن وتفرض الأوامر والقواعد فرضا متعسفا.

2- الأيديولوجية المحافظة التاريخية: وهي التي تضع المؤثرات الاجتماعية الضابطة والمسيطرة في أيدي الطبقة الأرستقراطية.[4]

3- الأيديولوجية الليبرالية: التي تؤكد على السياسات العلمية وعلى إجراءات العدالة المخططة بعناية

4- أيديولوجية التفكير الاشتراكي: ذو الطابع الجدلي والذي يبلغ ذروته في لا عقلانية عمياء تلجأ إلى العنف.

[1]- السيد عبد العاطي السيد، المرجع نفسه، ص 227.
[2]- أحمد رشوان، الأيديولوجيا والمجتمع، ص133.
[3]- السيد عبد العاطي السيد، مرجع سبق ذكره، ص 27-228.
[4]- طه نجم، علم الاجتماع المعرفة، ص 51.

5- الأيديولوجية الفاشية: وهي التي تستخدم العوامل السيكولوجية وتتطلب استجابات غير مشروطة للأفراد تجاه القوى المسيطرة.[1]

وهكذا تصور مانهايم الأيديولوجيا على أنها " نسق لأفكار الجماعة يرتبط بالمصلحة، فإذا مصالح الجماعة ثابتة دون تغيير، فإن فكر الجماعة سيظل هو الآخر يحمل طابعا استاتيكيا".[2]

وقد أشار مانهايم في أيديولوجيته إلى موضوع "الحقيقة" أي الحقيقة الاجتماعية، وفي هذا الصدد تكلم مانهايم عن العلاقة بين الأفكار والمحددات الاجتماعية، وهي في نظره« ليست علاقة ميكانيكية بل هي علاقة "ترابط وظيفي"، فإذا كانت الأفكار السياسية تعبر بهذا القدر أو ذاك عن مواقع ومصالح اقتصادية فإن النتيجة ستكون هي نسبية الحقيقة الاجتماعية»[3] فلكل حقيقة انطلاقا من موقعه ومصالحه، وهذا ما يوقع في النسبية.

وفي هذا الصدد نجد أن "مانهايم" قد جعل من الأيديولوجيا المفهوم المحوري في علم السياسة، ورسم للعلمين معا هدفا واحدا تمثل في الكشف عن العوامل الاجتماعية. وفي رأيه أن الافكار.

السياسية تعبر عن مصالح فئوية، فهي إذن مطابقة لأغراضها، وكل واحد منها يؤثر بشكل أو بأخر في سير وتطور المجتمع.[4]

وبعد تحليلنا لنظرية مانهايم في الأيديولوجيا لا بد من التطرق إلى مفهوم اليوتوبيا عنده وعلاقته بالأيديولوجيا، بحيث أن مانهايم جعل من اليوتوبيا العنصر الأساسي في أيديولوجية وهذا ما يجسده مؤلفه المشهور " الأيديولوجيا والطوباوية.

[1]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص 228.
[2]- أحمد رشوان، الأيديولوجيا والمجتمع، ص 134.
[3]- محمد سبيلا، الأيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، ص 46.
[4]- أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره ، ص 199.

المبحث الثاني:موقف مانهايم من اليوتوبيا:

إن المساهمة الثانية لماهايم في موضوع الأيديولوجيا هي "التمييز بين الأيديولوجيا واليوتوبيا" فالأيديولوجيا « هي منظومة الأفكار والقيم والتمثلات التي تحدوها الرغبة في الحفاظ على الوضع الاجتماعي القائم وبالتالي فهي محافظة».[1] أما عن "اليوتوبيا" فسوف نتطرق إلى تعريف مانهايم لها بعد التطرق إلى أصولها القديمة.

وعليه يعد مفهوم اليوتوبيا من المفاهيم المعقدة، كونه وطيد الصلة بالعصور القديمة التي عاشها الفلاسفة والمفكرون عبر التاريخ، غير أنه لا يمكن إغفاله أو تجاهله لأنه عنصر مهم في البحث ومن خلاله نستطيع معرفة العلاقة التي تربط هذا المفهوم بالأيديولوجيا.

ومنه، فقد أوضح (مراد وهبة) في معجمه الفلسفي أن كلمة "يوتوبيا" Utopia مشتقة من اللفظ اليوناني Outopia وهو مكون من مقطعين Ou ومعناه "لا" وToposومعناه "مكان" أي مكان غير موجود. أما في السياسة "يوتوبيا" عبارة عن رغبةليس في الإمكانتحقيق صدقها لا الأن ولا بعد الأن، رغبة لا تستند إلى قوى اجتماعية ولا تدعمها القوى الاجتماعية والسياسية الصاعدة.[2]

تعد "جمهورية أفلاطون" أول يوتوبيا، حيث نادى أفلاطون بعالم مثالي، أين يوجد الخير الأسمى والحقيقة المطلقة، والعدلة الحقة، هو عالماً مثاليا مفارقا للعالم المحسوس« أين لا نعثر عن الموجودات الحسية كونها خيالات أو انعكاسات لها... فندرك مثلا المساواة المطلقة والجمال والخير والصلاح والقداسة المطلقة، ونحن لا نجد لها نظير حيا في عالم الحس.[3]

[1]- محمد سبيلا، الأيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، ص: 45.
[2]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2007، ص: 692.
[3]- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للملايين للنشر، بيروت – لبنان، الطبعة (01)، 1991، ص: 81.

وإذا كانت فلسفة أفلاطون نابعة من الحياة الاجتماعية والسياسية، إلا أنه قد أضاف بُعداًجديد إلى المعرفة والحقيقة، حيث تراء لأفلاطون وجود (يوتوبيا) أسمى من الوجود الذي نعيش فيه، وهو عالم نوراني لا يعرف ظلمة المادة، تتأمله النفس فتجد سعادتها في هذا التأمل.

« إن الحقيقة التي لا فكاك منها، هي أنه بالرغم من جاذبية أفكار أفلاطون عن الدولة المثالية وعالم المثل وبالرغم مما ساهمت به هذه الأفكار اليوتوبية في تقدم الفكر الفلسفي خاصة، والفكر الإنساني عامة، فإنها لم تتحقق يوماً ما على أرض الواقع، حتى أن أفلاطون نفسه قد تنحى عن الكثير منها في شيخوخته نظرا لاستحالة تحقيقها.[1] »

هذا في ما تعلق باليوتوبيا في "الفكر اليوناني"، أما إذا أردنا الالتفات إلى " الفكر المسيحي"فنجد بأنه قد اتسم بالسمو الروحاني والقيم الخلقية ولم يهتم كثيرا بالأمور الدنيوية والقيم المادية، وكانوا يؤمنون بالحياة الأبدية والمتمثلة في ملكوت السماوات. ولا شك أن فكرة " الملكوت" هذه وما ينتظر المرء فيها من نعيم أبدي تقترب كثيرا من فكرة " اليوتوبيا".[2]

ولقد كان للفكر المسيحي نخبة من الرواد «الذين أكدوا تلك الفكرة ودعموها، وكان على رأسهم "(القديس أوغسطين) " الذي يشبه أفلاطون في الكثير من أفكاره في سعيه للوصول بالإنسان إلى حياة فاضلة في ظل وضع مثالي ارتاه وإن كان قد اختلف مع أفلاطونفي أنه في الوقت الذي أعطى فيه أفلاطونالأولوية للعقل والفلسفة أعطى أوغسطين الأولوية للإيمان قبل كل شيء[3]»

ويرى أوغسطين بأن« المعرفة المؤدية إلى العلم فهي معرفة الحقائق الأزلية الأبدية ... والتي لا يمكن أن نستخلصها من الحس... »[4] وأوضح في كتابه مدينة الله « أن الإنسان مكون من عنصرين هما الروح والجسد، وبالتالي فإنه ينتمي إلى وطنين، أحدهما الأرض (الواقع) والأخر السماء (اليوتوبيا)،وذلك تمشيا مع وجود أمور دنيوية مصدرها الجسد، وأخرويةملكوتية مصدرها الروح.[5]

[1]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص 86 - 87.
[2]- بتصرف، المرجع نفسه، ص : 87.
[3]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، بيروت دار الفلك، 1979، دط،ص 50.
[4]- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة (03)، 1979. ص 24
[5]- محمد الأنصاري، مرجع سبق ذكره ، ص 87 - 88.

وعليه "فالتصور اليوتوبي" لدى أوغسطين يكمن في تصوره لتلك المدينة التي سوف يسودها السلام والقيم النورانية، وتزينها الفضيلة، وتتوجها السعادة وقد أسماها بمملكة المسيح أو مدينة الله.

أما اليوتوبيا في "الفكر الإسلامي" فهناك العديد من الأفكار التي تتشابه في مضامينها مع فكرة اليوتوبيا، وفي مقدمة هذه الأفكار تأتي فكرة (الجنة) وما ينتظر المؤمنين فيها من نعيم ورغد وهناء وسعادة أبدية، والجنة كما أقرها الفكر الإسلامي ليست يوتوبيا تتبع أيديولوجيا كما عول "مانهايم" على ذلك، لأن الإسلام أساسا ليس مكرس بمصالح فئة معينة، بل هو عقيدة راسخة ذات منطلقات إيمانية وتطبيقات عملية تصون الحقوق، وتحدد الواجبات وتسوي بين الناس جميعا في الاعتبار البشري، ويبقى المعيار الأساسي للتمايز، وهو التقوى والعمل الصالح.[1]

وقد تجسدت اليوتوبيا أيضا في فكرة أخرى « حدثنا عنها (الفرابي) وهي " المدينة الفاضلة " التي تصورها كحقيقة طبيعية هدفها الأول والأخير تحقيق السعادة »[2] ووضع الفرابي لمدينته الفاضلة شروطا لابد أن يتجلى بها الرئيس « فالرئيس ينبغي أن يكون معداً لذلك بالفطرة وبالطبع والملكة الإرادية، أي بمواهب فطرية وتوجيه صحيح، كما ينبغي أن يكون من أهل الطبائع الفائقة وقد بلغ كمال العقل وكمال المتخيلة فأصبح بما يفيضه العقل الفعال على قوته الناطقة حكيما فيلسوفا، وبما يفيضه على قوته المتخيلة نبيا منذرا ».[3]

وبالتالي فمدينة الفرابي التي تصورها هي " محاولة مخلصة لبناء مجتمع فاضل سعيد، إلا أنها أوغلت في المثالية حتى بلغت درجة الاستحالة، بناها على شخصية الرئيس وكأنها تقول: هات رئيسا دائم الاتصال بالعقل الفعال حتى يصبح نبيا وفيلسوفا، وخذ مدينة لا تجد فيها إلا الكمال والسعادة".[4]

[1]- محمد الأنصاري، المرجع نفسه، ص 89 - 90.
[2]- المرجع نفسه، ص 90.
[3]- موزة أحمد، البعد الأخلاقي للفكر السياسي الإسلامي عند الفرابي والماوردي وابن تيمية " دراسة تحليلية نقدية في فلسفة السياسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر في الفلسفة، جامعة الإسكندرية، 2000، ص 206 – 207.
[4]- المرجع نفسه، ص209.

هذا ما تعلق بالأفكار المتشابهة مع اليوتوبيا في الفكر الإسلامي والتي تراوحت ما بينفكرة "الجنة" وفكرة "المدينة الفاضلة" وغيرها من الأفكار التي لم يتم ذكرها.

أما الأن فبقي علينا أن نتطرق إلى الفكر الاشتراكي وأين تتجلى اليوتوبيا داخل الأوساط الاشتراكية.

وعليه يمكن أن نقول بأن اليوتوبيا في الفكر الاشتراكي مثلها "توماس مور" إذ تخيل في كتاباته جزيرة يوتوبية.[1]ليس لها وجود على أرض الواقع، ويتمثل فيها هناء البشرية، حيث تتحقق السعادة وتنمحي الشرور. وقام بتحليل نظامها السياسي، وانتقادا الأوضاع القائمة في دولته عن طريق تخيله للأوضاع في الجزيرة على نقيض ما هو موجود في المجتمع.[2]

وتبقى أفكار " مور " شأنها شأن كل الأفكار اليوتوبية التي سجلها التاريخ، والتي ظلت حبيسة ذهنه.

وبعد " توماس مور" الذي يعزى له الفضل في استخدام لفظة " يوتوبيا كمصطلح "، " أصبح المصطلح يستخدم من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين للدلالة على بناء اجتماعي مثالي خال من العنف والقهر والتملك إلى درجة تجعل إمكانية تحقيقه على أرض الواقع بعيدة جدا، إن لم يكن مستحيلا ".[3]

والأن يأتي العنصر المهم في البحث وهو " التصور اليوتوبي " بالنسبة لكارل مانهايم، بمعنى نظرة مانهايملليوتوبيا.

وعليه، فإن " مفهوم اليوتوبيا " لدى مانهايم لا تختلف أهميته عن أهمية الإيديولوجيا، إذا أن كلاهما يشكلان محور الفكر المانهايمي بل ويشكلان معا أساس النظرة المانهايمية إلى المعرفة بصفة عامة وعلم اجتماع المعرفة بصفة خاصة.

[1]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص 98.
[2]- المرجع نفسه، ص 98.
[3] - المرجع نفسه، ص 73.

لقد ذهب مانهايم إلى " أن اليوتوبيا تمثل توجها مستقبليا، وأملا في تحقيق بعض الأشياء التي لا توجد في الوضعية القائمة بين تلك الأشياء التي يعكف الإيديولوجيين على المحافظة عليها"[1]إذا اليوتوبيا عند مانهايم " حالة فكرية عقلية لا تطابق الواقع الذي تحدث فيه ولا تنسجم معه... لكن يجب أن لا نعتبر كل حالة عقلية لا تطابق الوضعية المباشرة ولا تنسجم معها، وتتفوق عليها وتتجاوزها عقلية يوتوبائية".[2]

ولقد بين مانهايم أن اليوتوبيا قد تصبح إيديولوجيا، فقد تضمنت كل فترة في التاريخ أفكارا متسامية ومتفوقة على النظام القائم، ولكن تلك الأفكار لم تقم بدور اليوتوبيات، بل كانت بالأحرى إيديولوجيات مناسبة لتلك الفترة أو المرحلة من الوجود مادامت متكاملة تكاملا عضويا يتناسق وانسجام مع وجهة نظر شاملة عن العالم.[3]

ومنه يمكن القول بأن الفكر اليوتوبي يعكس " نضال الجماعات المقهورة في بحثها عن تغيير الأوضاع القائمة. ومن ثم لا يرى اليوتوبائيون في الموقف سوى تلك العناصر التي تميل إلى بطلانه وإنكاره، أو بمعنى أخر تلك العناصر السلبية التي يحتويها هذا الموقف، ومن ثم تضحى رؤيتهم للموقف قاصرة وعاجزة ".[4]

وعلى عكس التفكير الإيديولوجي " يعتبر التفكير اليوتوبي تفكيرا متنافرا أو غير متلائم مع الموقف الاجتماعي... مثال ذلك تعد فكرة المحبة المسيحية تفكيرا غير ملائم في مجتمع تغلب عليه روح المنافسة الفتاكة العمياء، وبعبارة أخرى، على النقيض من الأيديولوجية التي تحاول أن تجعل الأفراد يرضون بحاضرهم ووضعهم الراهن وماضيهم. تقع اليوتوبيا أو أحلام المستقبل التي تدفع الناس إلى أماني وأمال جديدة تكون في أغلبها خيالية، أو قد تدفعهم إلى حالة من اليأس وعدم الرضا بما هو قائم[5] ويميل التفكير اليوتويوبي إلى أن يظهر أو ينبثق من الإحباط وعدم الرضا ومن الاحتياجات

[1] - المرجع نفسه، ص: 175.
[2]- كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ص:247.
[3]- المرجع نفسه، ص: 248.
[4]- أحمد رشوان الإيديولوجيا والمجتمع، ص: 134.
[5]- السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، ص: 230.

غير المشبعة أو صعبة التحقق، وبينما تميل الإيديولوجيا إلى الظهور من خلال محاولات تحقيق الأمن والأمان، تظهر اليوتوبيات من خلال الرغبة في التغيير.[1]

وقد أشار مانهايم إلى تعدد أشكال اليوتوبيا، وهي كالتالي:

1- التفكير اليوتوبي الرامي إلى عودة المسيح وحكمه على الأرض ألف سنة، وهو فكر يؤمن بالتغيير المدمر الذي يحدث في فترة الألف سنة بعد عودة المسيح. وهو يمثل نسقا مغلق التفكير.

2- التفكير اليوتوبي ذو النزعة الإنسانية الليبرالية، ويتميز بالقبول الإيجابي للثقافة والنغمة الأخلاقية للمسائل الإنسانية.[2] وبالإضافة إلى هذه الأشكال نجد أيضا:

3- الفكر اليوتوبي المحافظ: وهو الذي يقترح نظاما جديدا يمكن تحقيقه في التو واللحظة.

4_الفكر اليوتوبي الاشتراكي، الشيوعي، وهو الذي يحيل اليوتوبياالليبراليةإلى الشكل الراديكالي، ومع ذلك يؤمن نفسه ضد العناصر الفوضوية الكامنة في بنائه.[3]

وهكذا، فإن مانهايم قد نظر إلى اليوتوبيا بنظرة مغايرة لأولئك الذين ربطوها بالخيال والخرافات (بيكون، مور) فكانت " نظرته براغماتية، إذ بالرغم من أن اليوتوبيا لديه كانت عبارة عن نمط للفكر لم يتحقق بعد، إلا أنه كان واثقا من حلول ذلك اليوم الذي يؤدي فيه مفهوم اليوتوبيا إلى خلق وضعية جديدة تتحول فيها الكمية إلى كلية، لكونه ينطلق من قاعدة تاريخية تمهد الطريق إلى تطويره، كما يعتمد على طبقة أو جماعة اجتماعية تعمل على تحقيقه في النظام الاجتماعي والسياسي العام".[4]

كذلك جعل مانهايماليوتوبيا " تتضمن ثوريا فهي تهدف إلى إزالة الوضع القائم"[5] وهكذا فإن فإن اليوتوبيا عند مانهايم " شأنها شأن الإيديولوجيا تنسب دائما إلى الثقافة، وإلى تنظيم الجماعة، لأن اليوتوبيا المسيطرة في وقت سابق تصبح، إذا ما تحققت مجالا ليوتوبيات أخرى لاحقة توفرها وتطيع بها ذلك إلى ما لانهاية".[6]

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 230.
[2]- أحمد رشوان الإيديولوجيا والمجتمع، ص: 136.
[3]- المرجع نفسه، ص: 137.
[4]- محمد الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص: 182.
[5]- أحمد رشوان الإيديولوجيا والمجتمع، ص: 135.
[6]- محمد الأنصاري، المرجع السابق، ص: 182.

وعليه، وبعد تناولنا لمفهومي " الأيديولوجيا واليوتوبيا " كل حدى، فسنحاول الأن معرفة العلاقة التي تربط الأيديولوجيا باليوتوبيا حتى يتسنى لنا فهم البحث جيدا.

المبحث الثالث:العلاقة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا:

إن المساهمة الثانية لمانهايم في موضوع الإيديولوجيا هي التميز بين " الإيديولوجيا واليوتوبيا " فالإيديولوجيا كما سبق ذكرها هي " منظومة الأفكار والقيم والتمثلات التي تحدوها الرغبة في الحفاظ على الوضع الاجتماعي القائم وبالتالي فهي محافظة، أما اليوتوبيا فهي مجموع الأفكار والتمثلات المتوجهة نحو المستقبل والتي تتضمن بالتالي قدرا من النقد للوضع القائم صراحة أو ضمنا فهي محملةعلى العموم بشحنة مستقبلية او ثورية ".[1]

وبالتالي فإن " التمييز بين اليوتوبيات والإيديولوجيات يخلق للباحث بعض الصعوبة، وعلى كل حال، فإنه من الصعب لدى دراسة حالة معينة أن نقرر بشكل ملموس أي الأفكار هي أفكار يوتوبية وأيضا إيديولوجية ".[2]

لكن بالرغم من صعوبة التمييز بين الإيديولوجيا واليوتوبيا، إلا أنه يمكن القول بوجه عام ان كلاهما مجاله الواقع " فالأولى " تتضمن جانب الفكر وجانب العمل، بمعنى أنها تتضمن مجموعة الأفكار والبرنامج الذي يترجمها إلى واقع علمي، وكلا الشقين مرتبط بالأخر، بمعنى أن كليها سبب ونتيجة للأخر، وقد تنجح الإيديولوجيا وقد تفشل.[3]وربما يرجع سبب ذلك إلى الزيف المعتمد من قبل صانعيها لتكريس وضع اجتماعي بعينه، لمصلحة صفوة أو نخبة.

أما " اليوتوبيا"، فهي وإن كانت تنطلق من الواقع، فإنها توجه السلوك نحو عناصر لا يحتويها هذا الواقع، لأنها قد تنجح في نشاطها المعارض في تحويل الواقع التاريخي القائم إلى واقع يتطابق وينسجم مع مفاهيمها، حتى وإن كانت هذه المفاهيم لم تدخل أو يستحيل أن تدخل حيز التنفيذ العملي.[4]

[1]- محمد سبيلا، الإيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، ص 45.
[2]- كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ص 250.
[3]- محمد الأنصاري، الإيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص100.
[4]- المرجع نفسه، ص100- 101.

وبالتالى يمكن القول بأن كل منهما (الإيديولوجيا واليوتوبيا) شكلان من أشكال الوعي الزائف بسبب ابتعادهما عن الواقع. فكل منظومة من الأفكار الاجتماعية تتضمن قدرا من الإيديولوجيا[1]أو بعدا يوتوبيا وبعدا إيديولوجيا، وذلك حسب الظروف، فقد كانت الليبرالية في القرن الثامن عشر يوتوبيا، بينما أصبحت في القرن التاسع عشر إيديولوجيا، فالإيديولوجيا هي فكرة الطبقة في حالة اندحارها، واليوتوبيا هي فكرة الطبقة في فترة صعودها كما عبر عن ذلك "ماكس شلر".[2]

وما يمكن قوله الأن عن مسألة التمييز هذه أنها صعبة للغاية، فما يبدو، في حالة معينة يوتوبيا أو إيديولوجيا يعتمد في المقام الأول على مرحلة ودرجة الواقع الذي يطبق عليه الفرد هذا المعيار. فمن الممكن جدا أن تصبح يوتوبيات اليوم واقع الغد، حيث اليوتوبيات واقع لم ينضج بعد.[3]

وعليه ليس مستحيلا أن نميز بينهما، كما يرى مانهايم، ذلك لأن المقياس الحقيقي للتفريق بين هذين العنصرين هو درجة تحقق " اليوتوبيا " في التاريخ وتحولها إلى " إيديولوجيا "، فالأفكار التي تسمو وتتفوق على الواقع التاريخي، وتكون قوى متفجرة تحطم حدود النظام القائم هي " يوتوبيا " بينما الأفكار التي تخفي أو تزيف النظام الاجتماعي السائد فهي " إيديولوجيا.[4]

وعليه، فإن " الإيديولوجيا " هي فكر الطبقات في فترة سيادتها وانتصارها وانحدارها أو هي فكر الطبقات العليا من المجتمع. أما " اليوتوبيا " فهي فكر الطبقات الدنيا في السلم الاجتماعي أو هي فكر الطبقات في فترة صعودها التاريخي.[5]

وخلاصة الأمر هو ان العلاقة بين (الإيديولوجيا واليوتوبيا) عند" مانهايم "هي رد عن فصل الفكر عن الواقع أو النظرية عن التطبيق في العلوم الاجتماعية، ولكن " مانهايم " نفسه كان مدركا صعوبة التمييز بين الإيديولوجيا واليوتوبيا، ويرجع ذلك الى أن العنصر الإيديولوجي والعنصر اليوتوبيلا

[1]- محمد سبيلا، الإيديولوجيا نحو نظرة تكاملية، ص 45.
[2] -المرجع نفسه، ص 45.
[3]- كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ص 255 - 256.
[4] - أمل مبروك، الأسطورة والإيديولوجيا، التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2011، ص 148.
[5] - محمد سبيلا، مرجع سبق ذكره، ص 45.

يتولدان منفصلين عن بعضهما في العمليات التاريخية، [1] وتبدو يوتوبيات الطبقات الصاعدة مشحونة ومشبعة بالعناصر الإيديولوجية، فالمقياس الحقيقي للتمييز بين هذين العنصرين هو درجة تحقق اليوتوبيا في التاريخ وتحولها إلى إيديولوجيا بعد وقوع الحدث.[2]

ويمكن القول إذا بأن " اليوتوبيا والإيديولوجيا " بالنسبة لمانهايم عنصران متلازمان (ضروريان) من عناصر الفكر الإنساني والمعرفة السياسية، التاريخية وهما وسيلتان لتخطي الواقع القائم في كل مرحلة من مراحل التاريخ، واختفاؤهما سيؤدي إلى تأكل واضمحلال الإرادةالإنسانية.

[1]- طه نجم، علم إجتماع المعرفة، ص: 53.
[2]- المرجع نفسه، ص: 53.

المبحث الرابع: دراسة إبسيتمولوجية تقييمية

لقد حاول " كارل مانهايم " باعتباره رائدا من رواد علم الاجتماع أن يحل مشكلة " المعرفة " عن طريق دراسة سوسيولوجية للفكر الإنساني، بهدف الكشف عن الحتمية الاجتماعية التي تخضع لها كل معرفة إنسانية، وقد كان " مانهايم " مسايرا " لماركس " في الالتجاء إلى " التحليل الأيديولوجي " لمذاهب المعرفة، لأنه كان حريصا على تأكيد أولوية " العامل الاجتماعي " في تحديد الاتجاهات المعرفية الغالبة على كل مجتمع.

وعليه، فقد اعتمد " مانهايم " على تحليل كل من الإيديولوجيا اليوتوبيا "حتى يتسنى له فهم الوضع الاجتماعي جيدا، باعتبار أن كل حقبة تاريخية تضمنت عناصر أيديولوجية ويوتوبية، بمعنى أنه حاول معرفة العلاقة بين المعرفة والوجود أو الفكر والواقع الاجتماعي التاريخي، وذلك من خلال تعقب جذور الأشكال المختلفة لتلك العلاقة خلال مسيرة التطور العقلي الذي قطعته الإنسانية.

وعلى الرغم من المنتوج الفكري الذي قدمه " كال مانهايم " إلى تاريخ البشرية في المعرفة والذي أراد من خلاله تحديد الفكر إلا أنه لم يسلم كغيره من العلماء والمفكرين من الانتقادات التي وجهت له بصفة عامة، ولنظريته في المعرفة بصفة خاصة.

ولهذا سنتناول في هذا المبحث مناقشة تقييمية لأفكار مانهايم وتوضيح بعض السلبيات في فكره من خلال التطرق إلى بعض المفكرين ممن تناولوا الفكر المانهايمي بالدراسة والتحليل.

نقد وتقيم نظرية كارل مانهايم:

لقد أخذ " مانهايم " على عاتقة تعميم التفسير الماركسي في المعرفة على أن يكون مجردا من العناصر الجدلية، وحاول " ما نهايم " إيجاد وسيلة لاستخدامها بطريقة فعالة في التحليلات الماركسية، كما هو الحال في أي نسق فكري أخرى.[1]

[1]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص: 53 –54.

لقد عرف " مانهايم " علم اجتماع المعرفة بأنه نظرية في الوجود الاجتماعي المحدد للفكر، وبالرغم من أن كل المعارف والأفكار تعد درجاتها مختلفة، فهي مرتبطة بوضعها في البناء الاجتماعي، ومرتبطة أيضا بالعمليات التاريخية، وقد عبر " مانهايم " في دراسته " للفكر الزمني " عن أمله في إفراز مثقفين يستطيعون خلق " منظور موحد " مستقل في محددات الوجود، حيث تكمن المهمة الأساسية لعلم اجتماع المعرفة في تأكيد الارتباط الأمبريقي بين وجهات نظر المثقفين والأوضاع البنائية التاريخية.[1]

أما المسألة الأساسية في علم اجتماع المعرفة وهي مشكلة " النسبية "والتي تصدى لها العديد من المفكرين بالنقد كونها لم تلقى نجاحا، ولهذا نجد الدكتور خلدون النقيب يصرح بقوله " لم يفلح مانهايم في تقديم حل مقنع لها، ومنهجه في الارتباط (...) ليس حلا للمشكلة وإنما طريقة لتجنبها. فالارتباطية حسب تعريف مانهايم لا توصلنا إلى إيجاد العلاقة السببية بين الفكر والواقع (...) والذي نستطيع أن نقوله باستعمال منهج مانهايم، هو أن هناك ترابطا وتجانسابين الفكرة والواقع الذي تولد فيه"، [2] وهذا لا يتعدى التقرير الوصفي لهذه العلاقة، فليس لدينا الدليل الكافي لكي نقول بأن واقعا اجتماعيا بمواصفات معينة سينتج أراء ومعتقدات بمواصفات يمكن التنبؤ بها أو استنتاجها، فإذا كانت الفكرة صحيحة صادقة فهي تعكس الواقع المحدد بصورة صحيحة، وتعبر عنه بصدق، فكيف إذن نستطيع التوصل إلى أسس عامة ومعايير مشتركة للصحة والصدق في الفكر والمعرفة؟.[3]

ويمكن القول ان مصطلح النسبية في المعرفة هو مصطلح متناقض مع نفسه، لأنه يتضمن المطلقات، ومعنى هذا يفترض مانهايم أن كل فكر يتحدد بالوجود، وبالتالي تتحدد كل حقيقة أيضا بالوجود، ولكن هذا أمر نسبي، ولا يستطع " مانهايم " أن يزعم بوجود استثناءات تخرج عن القاعدة في المعرفة[4]، ولذلك فتح " مانهايم " على نفسه هجوما عنيفا من قبل معارضيه خصوصا في كتاباته الأولى، فيبدو أنه لم يقصد استخدام " المحددات الوجودية "

[1]- المرجع نفسه، ص 54.
[2]- خلدون النقيب، الأيديولوجيا والطوباوية وعلم اجتماع المعرفة ، ص 30.
[3] - المرجع نفسه، ص 30.
[4]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص: 55.

DeterminationExistentialكنوع من التحديد الكلي، وفسر "مانهايم" هذه الحالة بأننا في دراسة العلوم الاجتماعية، يكون المعيار النهائي للحقيقة أو التزييف هو أن نكتشف ذلك في هدف البحث، ولم يستبدل علم اجتماع المعرفة بأداء هذه المهمة.[1]

وعلاوة على الأخطاء السابقة التي وقع فيها " مانهايم " بسب مشكلة النسبية في المعرفة، نجد أن " مانهايم " كان مخطئا أيضا في تفريقه بين مناهج العلوم الطبيعية ومناهج العلوم الاجتماعية من حيث المحتوى الأيديولوجي، ولكنه في هذا التمييز كان يعكس الأوضاع الثقافية السائدة في العشرينات من هذا القرن.[2]

كما نجد كذلك "دوركايم"كان ناقدا لفكرة النسبية حيث يرى بأن الأبنية الاجتماعية تتميز بعناصر ذاتية لا مفر منها عند بناء استنتاجات منطقية تخص المجتمع، ويبدو أن لهذه العناصر جذور راسخة في الواقع الاجتماعي، كما رفض "دوركايم" فكرة نشوء الفكر الاجتماعي باعتباره حقيقة أولية، ويرى نتاج تاريخي، وينظر إلى الموضوعية ذاتها بأنها نتيجة اجتماعية بخلاف مانهايم الذي يرى بأن "المجتمع والتاريخ" هما المحوران الأساسيان اللذان ترتكز إليهما كل فكرة وكل حقيقة.[3]

لكن وبالرغم من كل ذلك، ومع بقاء مشكلة نسبية المعرفة بدون حل، فإن علم اجتماع المعرفة بالطريقة التي شرحه فيها كارل مانهايم لم يفقد أهميته من حيث المسألة الأساسية التي يثيرها.

أما في ما يتعلق بالانتقادات التي وجهت " لمانهايم"حولمفهومي"الأيديولوجياواليوتوبيا" فهي كما يلي:

لقد كان " مانهايم " مقتنعا بأن مفهومي (الإيديولوجيا واليوتوبيا) هما وسيلتان لتجنب المزالق التي يمكن لتفكيرنا أن يوقعنا فيها، ولذلك فهما يلزماننا بأن نختبر كل فكرة بدرجة تطابقها مع

[1]- المرجع نفسه، ص 55.
[2]- خلدون النقيب، الأيديولوجيا والطوباوية وعلم اجتماع المعرفة، ص 31.
[3]- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، ص 62-63.

الواقع، وبأن السعي للفكاك والخلاص من التزييف والتمويه الإيديولوجي والطوباوي، هو في نهاية المطاف السعي للوصول إلى الحقيقة.[1]

وقد كان مانهايم مقتنعا أيضا بأن " الأمل العبثي " في الوصول إلى الحقيقة بصورة مستقلة عن المعاني الاجتماعية، التاريخية يجب نبذه في المرحلة. وقد أفلح مانهايم في إثبات اقتناعه الأول ولكنه فشل في إثبات إقناعه الثاني.[2]

فإذا كان مقياس أهمية أي مفهوم من المفاهيم العلمية هو قدرته التفسيرية، فإن مفهومي (الإيديولوجية والطوباوية) هما بدون شك من المفاهيم المهمة في تفسير الظواهر النفسية، الاجتماعية والتاريخية. وقد كان لتصنيف مانهايم لاستعمالات الإيديولوجية وتشخيصه للعنصر الطوباوي في الفكر الإنساني أبعد الأثر في علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع السياسي، بل إن ذلك يمثل خطوة متقدمة بالقياس للاستعمالات العشوائية الشائعة لمصطلح الإيديولوجية التي تختلط فيها مستويات العمومية ودرجات التجريد.[3]

ونستطيع استعاب القراءة الجديدة التي ستنهض على المنظور المانهايمي، وهي المعالجة التي قدمها" بول ريكور " ضمن قراءة متعددة الأبعاد.

ومنه، فلقد وسع مانهايم من مفهوم الأيديولوجيا وعمل على تضخيمه ليجعل منه البؤرة الإشكالية في اجتماعيات الثقافة وعلم السياسة، ليس ثمة فكر خارج عن قانون " المنظومة " ما يجعل الأفكار، عموما واقعة في مأزق " الزيف " الإيديولوجي مهما اكتسبت هذه الأخيرة من استحقاقات وظيفية تاريخية واجتماعية.[4]

وبناءا عليه لا ينوي " ريكور " إعادة النظر في حقيقة الأيديولوجية من حيث أنها إضلاليه بلحاظ علاقتها بالواقع الذي تزعم التعبير عنه، فما هو مهم بالنسبة " لريكور "في منظوريه مانهايم "، هي تلك الصفة التي يتعين أن يتجلى بها المثقف الحر من ضغوط الأطر الاجتماعية للمعرفة

[1]- كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ص 20.
[2]- المرجع نفسه، ص 20-21.
[3]- المرجع نفسه، ص 21.
[4]- هاني إدريس، خرائط أيديولوجية ممزقة...، ص53-54.

ومحدداتها، ولم يكن " ريكور "مقتنعا بالموضوعية المطلقة، لكنه حاول أن يفهم الإيديولوجيا من خلال زوايا متعددة، فالتحرر الممكن الذي يجعل المثقف حر قادر على الإمساك بالواقع الموضوعي، ليس من حيث كون الأيديولوجيا انعكاسا له أو تعبيرا عن أشيائه، بل بوصفها هي نفسها حدثا واقعا.[1]

وثمة ما يرفضه ريكور في " منظورية " مانهايم، وهو تلك الطوبا الحالمة التي احاط بها هذا الأخير تصوره لوضعية المثقف الحر المتحرر من إكراهات الوضع الاجتماعي ومحدداته الأيديولوجية المعبرة عنه، ومع إدراك هذا الأخير للمشكل الأيديولوجي من الناحية الإبيستمولوجية، حيث تعميمها على مطلق الأفكار، قد يسحب من تحت أقدامنا كل أرضية صلبة ممكنة للنظر الموضوعي والمتحرر إلى الأيديولوجيا[2]، إنه من هذه الناحية لا يوافق على إمكانية النقد الجذري، وفي الوقت ذاته لن يقبل بالنسبة المطلقة، أو ما يمكن نعته بـ "استحالة العلم".[3]

أما "غور فيتش جورج" فلقد أشار في كتابة الأطر الاجتماعية للمعرفة لأهم المؤاخذات على نظرية مانهايم في المعرفة وهي كالأتي:

1- أن نظريته بقيت محصورة ضمن توجهات تزعم أن كل أفق سوسيولوجي من شأنه أن ينال من صلاحية المعرفة ذاتها .

2- تتسم نظريته بهيمنة المسألة الإيديولوجية.

3- حصره للأنواع المعرفية، بالمعرفة السياسية المشدودة بدورها إلى المعرفة الفلسفية.

4- يعتبر أن النخبة المثقفة خليفة بإلغاء المفاعيل الاجتماعية للمعرفة.[4]

كماو قد حاول الدكتور "قباري محمد إسماعيل" مناقشة النزعة التاريخية التي يمثلها "مانهايم" في علم الاجتماع وذلك من خلال تقييم نتائج الاتجاه التاريخي في تفسير المعرفة وموقفه منها.

---

[1]- المرجع نفسه، ص54 - 55.
[2]- المرجع نفسه، ص 55- 56 .
[3]- المرجع نفسه، ص 56.
[4]-جورج غور فيتش، الأطر الاجتماعية للمعرفة، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ص66-67.

إن المتتبع لمساهمة "مانهايم" بصدد المعرفة، يجد أن علم الاجتماع المانهايمي، يفسر الآراء والمعتقدات التي تسود بنية المجتمع، بردها إلى الظروف الاجتماعية والمواقف التاريخية ولهذا فالعلم الذي يهدينا، في رأي مانهايم، إلى مصادر الصحة ومعرفة الصواب هو "علم اجتماع المعرفة".[1]

وتتجلى مهمة هذا العلم السوسيولوجي الجديد في تفسير المبادئ والمذاهب العقلية والفلسفية التي تسود المجتمع، والتي تعبر عن " روح العصر" وهذه الأخيرة من وجهة النظر المانهايمية، ليست إلا نتيجة حتمية لمراحل تطورية وظروف تاريخية، وعلى هذا الأساس واستنادا إلى فكرة الحتم التاريخي، ربطها مانهايم بفكرة " الحتم الوجودي للفكر والمعرفة".[2]

ولكن "روبرت ميرتون" في كتابه عن "النظرية الاجتماعية" يقول: إن تحليل مانهايملسوسيولوجية المعرفة تحليل مبتسر، كما أن تفسيره لمصادر الفكر تفسير قاصر، فقد أخفق " مانهايم " في رأي ميرتون، في تحديد أشكال العلاقات التي تربط " البناء الاجتماعي " بمصادر المعرفة وأصول الفكر، وهذه ثغرة واضحة في نظرية مانهايم للمعرفة، لأن تلك الثغرة تقودنا إلى الغموض والاضطراب، وبخاصة في فهم الفكرة الرئيسية التي ترتكز عليها نظرية مانهايم في سوسيولوجية المعرفة، حيث أن محور الإرتكاز في نظريته، يدور حول فكرة " الحتم الوجودي للفكر".[3]

ولقد اعترف " مانهايم " نفسه بوجود تلك الصعوبات التي تواجهه في تحقيق فكرة " الحتم الوجودي للفكر " ولم يحاول تذليلها.

ويعترض " بول كسكمتي " وهو أحد شراح مانهايم ومترجم كتاباته، فذهب إلى أن هناك " دورا منطقيا " في نظرية مانهايم للمعرفة، وفهمه للفكر الإنساني على أنه يتحدد بعوامل موضوعية وتفسيره للحقيقة في ضوء الواقع الاجتماعي.[4] لأننا فيما يقول "بول كسكمتي" إذا أخذنا بمضمون تلك النظرية، فلسوف نتعرض لمحاولة خطرة، باعتبارها في ذاتها نجاحا فكريا يخضع لسائر التيارات

[1]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص 636 -637.
[2]- المرجع نفسه، ص 237.
[3]- المرجع نفسه، ص 238.
[4]- خلدون النقيب، الإيديولوجيا والطوباوية وعلم اجتماع المعرفة، ص30.

والقوى الاجتماعية، ومعنى ذلك أن نظرية المعرفة عند " مانهايم "، قد أتت حتفها، لأنها تحمل عناصر هدمها.[1]

ويقول في هذا الصدد الدكتور قباري إسماعيل " ونحن فيما يقول " كسكمتي " إذا استطعنا الإفلات من تلك الصعوبات المنطقية التي تدمر النظرية من أساسها فلا مهرب لنا من أن نصمها بانها نظرية تحكمية وتعسفية في أساسها الميتافزيقي[2] (...) وتلك ثغرات واضحة بلا شك قلبت نظرية المعرفة عند مانهايم رأسا على عقب، فكيف تتحقق الموضوعية التامة في التفكير والأحكام، بالالتفات إلى تلك المواقف التاريخية والأوضاع الاجتماعية؟!.[3]

فبالتالي فإن الحتمية السوسيولوجية التي تربط المعرفة بالعمليات التاريخية والشروط الاجتماعية إنما يعبر في الواقع عن الإيمان بحقيقة واحدة فردة، وهي في رأي " مانهايم " الحقيقة في التاريخ، بالرغم من أن حقيقة التاريخ ليست مطلقة، كما أنها ليست نهائية أو كاملة.[4]

إن الاتجاه التاريخي المانهايمي يذهب إلى الأخذ بمبدأ نسبية الحقائق والمواقف التاريخية، لكن من الناحية المنطقية البحتة لا يمكن أن يتفق القول بمبدأ مطلق كمبدأ الحتم السوسيولوجي، مع الإيمان في الوقت ذاته بمبدأ نسبية الفكر، إذ أن القول بالحتمية الاجتماعية والتاريخية يتضمن نوعا من الحتمية الكلية، تلك الحتمية التي تفتح الباب على مصراعيه للإيمان بالمطلقات والقوى المطلقة، مما يتعارض أساسا ويتناقض مع فكرة " مانهايم " الأساسية في نسبية الفكر والمعرفة.[5]

وعلى هذا الأساس يذهب " كسمكتي " إلى القول بأن نظرية " مانهايم " في المعرفة هي نظرية ميتافزيقية خالصة، صاغها في ثوب تاريخي، وفي شكل اجتماعي، إلا أنها لا تستطيع أن تثبت كنظرية للمعرفة – أمام النقد الفلسفي والتقييم المنطقي.[6]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 31.
[2]- إسماعيل قباري، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، ص639 - 640.
[3]- المرجع نفسه، ص 640.
[4]- المرجع نفسه، ص 640.
[5]- المرجع نفسه، ص640 -641.
[6]- المرجع نفسه، ص 641.

وقد ألح بول ريكور على ضرورة "نقد" الإيديولوجيا واليوتوبيا باعتبارهما يتدرجان معا في دائرة الوعي الخاطئ، لأنهما يتبادلان كثيرا من المواصفات المشتركة، ونحن في حاجة دائمة إلى اليوتوبياهدفتطوير ونقد الإيديولوجيا، كما أننا في حاجة دائمة إلى اليوتوبيا يهدف تطوير ونقد الإيديولوجيا، كما أننا في حاجة إلى الاستعانة بالإيديولوجيا، بهدف تخليص اليوتوبيا من الاندفاع.[1]

كما وقد تناول "بوبر" في كتابه بؤس الإيديولوجيا "النزعة التاريخانية" بالنقد، فإذا كان "مانهايم" يري في التاريخ صدق القضايا وحقيقتها، فإن بوبر يدحض هذا القول ويرى على النقيض لما ذهب إليه "مانهايم"حيث يقول: لقد حاولت أن أبين، في مقالي "عقم التاريخانية" أن هذا المذهب منهج عقيم [...]وأود أن أوجز هنا برهاني على كذب المذهب التاريخي [...] ويمكن حصرها في القضايا الخمس الأتية:

1- يتأثر التاريخ الإنساني في سيره تأثرا قويا بنمو المعرفة الإنسانية.[2]

2- لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية، أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية.

3- إذن فلا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الإنساني.

4- وهذا يعني أننا يجب أن نرفض [...] أي إمكان قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري".[3]

وفي الأخير يمكن القول بأن "مانهايم" وكغيره من علماء اجتماع المعرفة أعلنوا الثورة على الفلسفة، وتصحيح تلك النظرات الكلاسيكية الخاطئة، فحاول تفسير المعرفة بالالتفات فقط إلى العقل من خلال المعايير والصورة الفكرية التي يكتسبها من المجتمع، على اعتبار أن الإنسان لا يفكر إلا من خلال ظروفه ومواقفه الاجتماعية.

لهذا، وبالرغم من كل تلك الانتقادات التي قدمت "لمانهايم" واعترافه نفسه بوجود صعوبات واجهته في تحقيق فكرة "الحتم الوجودي" إلا أنه يمكن القول بأن "مانهايم" استطاع صياغة وتأسيس

[1]- كمال عبد اللطيف، في الأيديولوجيا والمعرفة: مدخل عام، مجلة المستقبل العربي، الرباط – المغرب، العدد 36، 1989، ص80.

[2]- كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا (نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي) تر: عبد الحميد صبره، دار الساقي للنشر، بيروت- لبنان، ط 1، 1992، ص 07.

[3]- المرجع نفسه، ص 08.

علم اجتماع المعرفة على نحو يستطيع مواجهة القضايا الفكرية المعاصرة، كما وانه استطاع من خلال علمه الجديد ان يعطي للأيديولوجيا بعدا جديدا من خلال ربطها باليوتوبيا والتي اعطاها قوة التغيير.

خاتمة

خاتمة:

في الأخير وبعد التحليلات التي قدمناها على إمتداد الفصول السابقة، كشفت الدراسة عن مجموعة من القضايا المهمة التي يمكن أن نستخلصها من ثنايا الأبعاد الأيدولوجية في الأنساق المعرفية المعاصرة، والتي شقت عن النتائج التالية:

1) أن لمفهوم الأيديولوجيا أصول قديمة يرجع بها الزمن إلى اليونان قبل أن تتطور وتصبح مصطلحاً حديثاً

2) يعد مفهوم الأيديولوجيا مفهوما متسع الأفاق والحدود، حيث شهد تنوعاً في التعريفات التي قدمت حوله

3) لقد جعل مانهايم للمعرفة مصدراً جديداً تنبع منه حقيقتها بخلاف ما كان ينظر إليها في القديم وبالتالي تعد نظريته في المعرفة بمثابة ثورة شنت في وجوه المفكرين الكلاسيكيين، والتي نتج عنها علم جديد أسماه " مانهايم " " بعلم اجتماع المعرفة "

4) استقت نظرية المعرفة العلمية بالمجتمع عند مانهايم من الأفكار الماركسية الصرفة، التي تتضح من خلال إيمانه الجازم بأهمية المصالح الاجتماعية والتجمعات الطبقية والطابع الأيديولوجي للفكر الاجتماعي.

5) إن النظرية العقلية للمفكر الأيديولوجي تتشكل وفقا لمكانته ودوره وعلاقاته بالجماعات الأخرى

6) إن الفرد حسب مانهايم يتعلم من خلال انتمائه إلى جماعة علمية معينة، وأن مجموع المعارف التي يحصل عليها الفرد من خلال هذا السياق تشكل رؤية فيما ينبغي أن تكون عليه الأشياء

7) إن المعرفة المتعلقة بالطبيعة يغيب البعد الأيديولوجي عن بعض مراحلها

8) أما المعرفة أوبالأحرى المعارف الإنسانية بمختلف أشكالها، تستحضر الغاية الأيديولوجية بصورة أو بأخرى

9) أراد مانهايم باعتباره مؤسس " علم الاجتماع المعرفة " أن يحل مشكلة " المعرفة"عن طريق دراسة سوسيولوجية للفكر الإنساني لكي يكشف عن الحتمية الاجتماعية التي تخضع لها كل معرفة إنسانية

10) لكل وضع تاريخي حقيقته الخاصة، وأنه ليس ثمة طبقة اجتماعية تحتكر لنفسها المعنى الكلي لأية حقبة تاريخية بعينها

11) لقد أثبتت دراسات مانهايم خطأ المقولة التي ترددت لفترة طويلة منذ ظهور العلوم الوضعية والمتمثلة في أن مناهج العلم الطبيعي هي المناهج الوحيدة التي يمكن من خلالها معالجة الأشياء، فقد تبين بأن المنهج العقلي في التحليل كما وجده مانهايم في إطار التحليل التاريخي، على درجة كبيرة من الأهمية وتمثلت هذه الأهمية في الكشف عن " الأيديولوجيا الجزئية " و" الأيديولوجيا الكلية "

12) بين مانهايم أهمية الرؤية " الجشطلتية " في فهم التحولات التي تحدث في العلم الواقعي، وهذه الرؤية تستند بدورها في فهمها لطبيعة الجزء من خلال فهم الكل

13) أطلق مانهايم على تلك الأفكار والقيم التي تحتوي بشكل مكثف على الاتجاهات والميول غير المتحققة والتي تمثل حاجات العصر ومطامحه وآماله اسم (اليوتوبيا) وهي عناصر فكرية تعلو على الواقع وتميل إلى تحطيم بناء النظام القائم وأعطاها دور (التغيير) أما الأفكار الموجودة في الواقع والتي تحاول من خلال نشاطها العقلي الذي توجهه نحو الدفاع عن الوضع الراهن والمحافظة عليه فأطلق عليها اسم (الأيديولوجيا)

14) لقد ربط مانهايم الأيديولوجيا بمصالحالفئات التي تتصارع لتصل إلى السلطة السياسية. وبهذا أصبحت " فكرة الأيديولوجيا " عند مانهايمتشكل تصورا محوريا في علم السياسة واجتماعيات الثقافة، ورسم للعلمين هدفاً واحداً تمثل في ضرورة الكشف عن العوامل الاجتماعية التي تسير وتعرقل الدعوة السياسية والإنتاج الفكري، وفي هذا الإطار ميز مانهايم بين الأيديولوجيا بالمعنى

الضيق والتي تعبر عن المنظومة الفكرية الفعالة في الميدان السياسي، والأيديولوجيا في معناها الواسع والتي تسيطر على أهداف منتجي الثقافة.

15) إذا كانت الأيديولوجيا تمثل الوعي الزائف بالتالي فهي بعيدة عن الصدق والموضوعية، فإن مانهايم يرى بأن " المثقف الحر الواعي المتحرر من كل انتماء طبقي يمكنه أن يتوصل إلى الوعي الصادق وإلى الموضوعية، لأن المثقف الواعي في هذه الحالة يقارن بين الأيديولوجيات المختلفةوينتقدها.

16) إن تصور الأيديولوجيا يختلف عند" مانهايم " عن ذلك التصور الذي ورثه الفكر السياسي عن كارل ماركس، فما كان مجرد أداة، أو سلاح عقلي عند كارل ماركس، أصبح منهجاً وأداة للبحث في التاريخ الاجتماعي والعقلي عند كارل مارنهايم.

17) ربط مانهايم بين الأيديولوجياواليوتوبيا على اعتبار أنهما عنصران مهمان ومتلازمان لا يمكن الفصل بينهما

18) قد جعل مانهايم من الأيديولوجيا أساً في فهم سوسيولوجية المعرفة

وهكذا نجد بأن الأنساق المعرفية المعاصرة وبصفة خاصة عند "كارل مانهايم "، قد أضفت على مسألة التفسير العلمي للواقع من خلال تحليل الايديولوجيا، معنى جديداً ربط الفكر بالواقع بصورة تكشف عن أهمية التفسيرات التي قدمت.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

1) ادريس هاني، خرائط ايديولوجية ممزقة، الايدولوجيا وصراع الايديولوجيات العربية والاسلامية المعاصر، دار الانتشار العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى، 2006.
2) امام عبد الفتاح امام، دراسات هيجلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 1985.
3) بدوي عبد الرحمان، فلسفة العصور الوسطى، دار العلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1979.
4) بلحسن عمار، الادبوالايدولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984
5) خليفة عبدالرحمان، أيديولوجية الصراع السياسي، دارالمعرفةالجامعيةللنشر، الاسكندرية، دط، 1999.
6) رشوان احمد رشوان الايديولوجيا والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث للنشر، ابوالخير للطباعة والتجليد، الاسكندرية، دط، 2009.
7) سبيلا محمد، الايديوجيا (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة)، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثانية، 2006.
8) سبيلا محمد، الايديوجيا نحو نظرة تكاملية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى، 1992.
9) سعيد عيد مرسى بدر، الايديولوجيا ونظرية التنظيم-مدخل نقدي-دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، دط، 2008.
10) السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، الازارية، د ط، 2006.
11) ابو شنب جمال محمد، اصول الاجتماع السياسي(النشأة، القضاء، التطبيقات)دار المعرفة الجامعية للنشر الاسكندرية، مصر، دط، 2011.
12) عبود عبد الغانيوآخرونالايدولوجيا والتربية والنظام، العالمي الجديد، دار الفكر العربي، الطلعة الاولى، 2000.
13) العروي عبد الله، مفهوم الايدولوجيا، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993.
14) فخري ماجد، تريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للملايين للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الالى، 1991.

15) قباري اسماعيل، علم الاجتماع والفلسفة، نظرية المعرفة، دار الطلبة العرب، بيروت، دط، 1968.
16) قباري اسماعيل، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع دار المعرفة الجامعية، دط، دت.
17) قباري اسماعيل، علم الاجتماع والايديولوجيات، المكتب العربي الحديث للطباعةوالنشر، الاسكندرية، دط، 1979.
18) كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1979.
19) مبروك امل، الاسطورة والايديولوجيا، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 2011.
20) مختار علي، اشكالية العلاقة بين الايديولوجيا والعلوم الاجتماعية و....، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، القاهرة، 1984.
21) نجم طه عبدالعاطي، سوسيولوجيا المعرفة، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع الاسكندرية، مصردط، 2014.
22) نجم طه عبدالعاطي، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة، دط، 1996.

المصادر المترجمة:

23) بوبركال، بؤس الايديولوجيا (نقد مبدا الانماط في التطور التاريخي، ترجمة:عبدالحميد صبرا، دار الباقي للنشر، الطبعة الاولى، 1992.
24) غور فيتش جورج، الافراط الاجتماعية للمعرفة، ترجمة: خليل احمد خليل، المؤسسةالجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت.
25) نادية ميشيل، الايديولوجيا وثائقمن الاصول الفلسفية، ترجمة:امينة رشيدو سيد البحراوي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2009.
26) مانهايم كارل، الميتافيزيقيا: العصور والايديولوجيا، نقلا عن عبد السلامبنعبدالعالي، الشركة المغربية للناشرية المتحدين، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، 1981.
27) مانهايم كارل، الايديولوجياواليوتوبيا(مقدمة، في سوسيولوجيا المعرفة)ترجمة:محمد رجا الديريني، شركة المكتبات الكويتية للنشر، الكويت، الطبعة الاولى، 1980.
28) هابر ماس يورغن، العلموالتقنيةكايديولوجيا، ترجمة:حسن صقر، منشوراتالجمل، كولونيل، المانيا، الطبعة الاولى، 2003.

29) هوكس ديفيد، الايديولوجيات السياسية، ترجمة:ابراهيم فتحي، المجلس الاعلى للثقافة، دط، 2000.

30) هيود اندرو، مدخل الى الايديولوجيات السياسية، ترجمة محمد صقار، المركزالقومي للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، 2012.

المعاجم والقواميس:

31) تدهوندرتش، دليل اكسفورد، الجزء الاول، ترجمة:نجيب الحمادي، دط، دت.

32) صلبيا جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، للنشر، بيروت، لبنان، دط، 1982.

33) صلبيا جميل، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، دط، 1983.

34) مغنية محمود جواد، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، بيروت، لبنان، دط، دت.

35) وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشروالتوزيع، القاهرة، دط، 2007.

المجلات:

36) عبد اللطيف كمال، الايدولوجيا والمعرفة مدخل عام، مجلة المستقبل العربي، الرباط، المغرب، العدد36، 1989.

37) النقيب خلدون، الايديولوجياوالطوباية وعلم اجتماع المعرفة، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء العربي، العدد 36، 1981.

المذكرات:

38) احمد موزة، البعد الاخلاقي للفكر السياسي عند القرابي والماوردي وابن تيميةً(دراسة تحليلية نقدية في فلسفة السياسة)مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، جامعة الاسكندرية، 2000.

39) الأنصاري عبد الله عبد الوهاب محمد، الايديولوجياواليوتوبيا في الانساق المعرفية المعاصرة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الاسكندرية، 2000.

40) يعيش وسيلة، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والايديولوجيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منثوري قسنطينة، 2001.

المواقع الالكترونية:

41) على الساعة13:54 يوم24 /2016/04
*http://bookofrife **01.bLogst.com***
42) على الساعة 13:46 يوم 2016/04/24
http://ar.wikipedia.org/wiki
43) على الساعة 15:46 يوم 2016/04/26
http://www.goole.dz
44) على الساعة 16:25 يوم 2016/04/26
http://a.wikipedia.drgi

ملاحق

كارل مانهايم: 1893_ 1947

حياته:

ولد مانهايم في 27مارس 1893 في بوداباست.بهنغاريا لاب هنغاري وأم المانية،وكلاهما يهودي من الطبقة المتوسطة.قضى العشرين سنة الاولى من حياته في بودبست وتعلم في مدارسها وجامعتها،وكانت هنغاريا حينذاك متشربة بالثقافة الالمانية وتسير في فلكها،ولهذا ذهب مانهايم الشاب في عام 1912الى برلين وتتلمذ لمدة عام على يد الفيلسوف الالماني "جورج سيميل"وتأثربأفكاره.

وفي عام 1913 عاد مانهايم الى بودابست وبقي فيها ست سنوات انغمر خلالها في جميع النشاطات والتيارات الفكرية والسياسية التي كانت تعج بها العاصمة الهنغارية، انضم اول الامر الى جمعية العلوم الاجتماعية ، التي كان معظم أعضائها متأثرين بالفلسفة الوضعية ، وتميزوا بذلك بالتفائل وظنوا بالإمكان تحقيق اصلاحات اجتماعية وسياسية كبيرة ، ثم قامت جماعة جديدة من المفكرين بزعامة "جورج لو كاتش"، واتخذت هذه الجماعة لنفسها اسم "المدرسة الحرة العلوم الانسانية ونبذت الفلسفة الوضعية ودعت الى الاخذ بالفلسفة التاريخية وبالفلسفة المثالية الالمانية. ولم يتحيز مانهايم لواحدة من الجماعتين بل انضم اليهما معا وشارك في ندواتهما ونشاطاتهما.

عاش مانهايم في فترة سياسية عصيبة، وشاهد جوا فكريا متصارعا اثناء الحرب العالمية الاولى، وعاصرة فترة حرجة في تاريخ العالم حيث اجتاح اوربا كثير من الثورات والاضطرابات، وكان لتلك الظروف السياسية والاجتماعية اثرها في تشكيل الفكر المانهايمي، فخلقت منه انسانا من طراز خاص، اذ انه شهد أزمة الفكر والثقافة التي سيطرت على العقل الاوربي، وراقب عن قرب تلك النكسة الاقتصادية العالمية التي نكبت بها بعد الحرب العالمية الاولى، حيث اجتاحها الكثير من حركات التمرد والعصيان. وفي هذا الجو السياسي المضطرب ولد مانهايم، ونشأ في تلك الظروف العنيفة، وتشكل فكره من خلال هذا الجو الاجتماعي المفزع. ولقد ظهرت الحاجة الى قيم جديدة يستضيء بها الانسان في ذلك الضياع الشامل، حيث يجدد الانسان من تقاليده وفكره في ضوء الاوضاع والمواقف الجديدة. ومن هنا كانت الثورة الثقافية الفكرية بين اصحاب التغير والتجديد عن طريق الثورة على كل قديم بال من القيم الثقافية والعادات الفكرية.

وكان لكل تلك الاتجاهات والمواقف السياسية والاجتماعية آثارها في تشكيل عقلية "مانهايم "وفي تطوير نظريته في علم اجتماع المعرفة، ولاشك ان مانهايم الى جانب تلك الظروف الاجتماعية قد تأثر ببعض اتجاهات ومواقف الفلسفة حين تأثر بفلسفات كانط وهيجل، ولق تأثر بوجه خاص بفكرة التحول الهيجلية.

وكانت الماركسية احدى التيارات الرئيسية التي كان لها صداها في تكوين الاتجاه العقلي التاريخي عند مانهايم، حيث استضاء مانهايم ببعض المبادئ الماركسية التي تتصل بالطبيعة الايديولوجية للفكر الاجتماعي، مما دفعه الى الايمان بفكرة الضرورة الاجتماعية وحتميتها في الفكر وفاعليتها الواضحة في العمليات التاريخية.

وعليه فقد حاول مانهايم ان يدرس المضمون الحقيقي الكامن في كل عملية تاريخية بما تحققه من قيم وما تخلفه من تصورات، على اعتبار اننا لا يمكن ان نشاهد قيما أو نصنع افكارا دون ان تتحقق في زمن او ان تلتحم في تاريخ.

خلال حياته في انجلترا كتب "مانهايم" ونشر العديد من الكتب والابحاث، لكن مؤلفاته وابحاثه في المانيا لاتزال تعتبر اهم اعماله واكثرها اصالة وابداعا.

اهم اعماله

1_الايديولوجيا واليوتوبيا: كتب اصلا باللغة الالمانية ونشر عام 1929 وترجم الى العربية،ويعتبر هذا الكتاب اهم اعمال مانهايم

2_عناصر عقلانية وأخرى لاعقلانية في المجتمع المعاصر، 1934

3_الانسان والمجتمع في عصر اعادة البناء ،1940.

4_الحرية والسلطة والتخطيط الديمقراطي 1950

5_مقالات في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي 1953.

الفهرس

فهراس المحتويات

المحتويات	الصفحة
البسملة	
الشكر	
الإهداء	
مقدمة	
الفصل التمهيدي:البدايات الاولى للايديولوجيا	06
1-الفلسفة اليونانية	06
2-الحضارة الاسلامية	08
3-الايديولوجيا في فلسفة الانوار	09
4-ظهور الايديولوجيا كمصطلح	10
5-تطور مفهوم الايديولوجيا	14
الفصل الاول:ماهية الايديولوجيا	20
المبحث الاول:الايديولوجيا دراسة معجمية	20
1-تحديد دلالة المصطلح	21
2-تعريف كارل ماركس للأيديولوجيا.....	24
3-تعريف لويس التوسير.للأيديولوجيا.....	30
المبحث الثاني:خصائص الايديولوجيا	37
المبحث الثالث:وظائف الايديولوجيا	43
الفصل الثاني:الابستيمولوجيا العلمية لدى كارل مانهايم	53
المبحث الاول:مانهايموتاسيس علم اجتماع المعرفة	54
المطلب الاول:نظرية كارل مانهايم في المعرفة	54
المطلب الثاني:تاسيس علم اجتماع المعرفة	58
المطلب الثالث :مناهج دراسة علم اجتماع المعرفة	61
المبحث الثاني:مانهايم ونظرية النسبية في المعرفة	63
الفصل الثالث:الايديولوجيا من المنظور المانهايمي	72
المبحث الاول:موقف مانهايم من الايديولوجيا	73
المطلب الاول :الايديولوجيا في معناها الخاص او الجزئي	74
المطلب الثاني:الايديولوجيا العامة او الكلية	75
المبحث الثاني:موقفمانهايم من الايديولوجيا	81
المبحث الثالث :العلاقة بين الايديولوجيا واليوتوبيا	87
المبحث الرابع:دراسةابستيمولوجية تقييمية	90
خاتمة	99

ملاحق 103
قائمة المصادر والمراجع 108
فهرس الموضوعات